شرح حديث النزول

لابن عبد البر

تقرير عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات

تعليق

الدكتور/ عبد المحسن بن عبد الله الزكري

القاضي بديوان المظالم بالرياض

دار الندوة العالمية
للنشر والتوزيع

الدار الإسلامية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

شـــرح حديث النزول

لابن عبد البر

تقرير عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزكري ، عبد المحسن بن عبد الله بن إبراهيم
شرح حديث النزول لابن عبد البر. / عبد المحسن بن عبد الله بن إبراهيم الزكري.- الرياض ، ١٤٢٤هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك : ٤ ـ ٠٩٤ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

١ـ العقيدة الإسلامية ٢ـ الحديث ـ مباحث عامة أ ـ العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٢٤/١٧٧٧

رقم الإيداع : ١٤٢٤/١٧٧٧
ردمك : ٤ ـ ٠٩٤ ـ ١٠ ـ ٩٩٦٠

الناشر

دار الندوة العالمية
للنشر والتوزيع
السعودية ـ الرياض ت: ٢٠٥٠٠٠٠ تحويلة ١٧٧، ٧٢٤

الدار الإسلامية
للنشر والتوزيع
مصر ـ المنصورة ت: ٢٥٠٤٩٩٧ / ٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قاعدة فى الخلاف وهى سبب الوفاق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى:

((وكل من أظهر الإسلام ولم يكن منافقا ، فهو مؤمن ، له من الإيمان بحسب ما أوتيه من ذلك ، وهو ممن يخرج من النار ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ويدخل فى هذا جميع المتنازعين فى الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم ، ولو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله كما يعرفه نبيه لم تدخل أمته الجنة ، فإنهم أو أكثرهم لا يستطيعون هذه المعرفة ، بل يدخلون الجنة وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم)).

وقال: ((والمقصود هنا التنبيه على أن هذه مقامات دقيقة مشكلة بسببها افترقت الأمة واختلفت ، فإذا اجتهد الرجل فى متابعة الرسول ﷺ والتصديق بما جاء به وأخطأ فى المواضع الدقيقة التى تشتبه على أذكياء المؤمنين غفر الله له خطاياه تحقيقا لقوله:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقد ثبت فى الصحيح أن الله قال قد فعلت)).

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد:

فقد من الله علينا برسولنا محمد بن عبد الله وتعبدنا برواية سنته ، والتفقه فيها وجعلها من الوحى ، وهى المبينة للقرآن.

ولذا اهتم العلماء بالسنة رواية ودراية ، وأكثروا من التأليف فى علومها ، ومنهم الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر - رحمه الله تعالى- الذى استحق أن يسمى إمام دار الهجرة وضرب الناس إليه أكباد المطى لتلقى العلم منه وخاصة كتابه الموطأ ، وهو من أوائل الكتب التى دونت فى الحديث مع ما امتاز به من صحة الحديث وعلو السند ، بل إن ما يسمى بالسلسلة الذهبية من الأسانيد عند المحدثين عن مالك - رحمه الله تعالى.

ولم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ ، كما قاله الإمام عياض - رحمه الله.

وقال فيه تلميذه الإمام الشافعى - رحمه الله تعالى: ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك.

ومن أشهر الشروح على هذا السفر العظيم وأنفعها شرح الإمام يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم أبى عمر الأويسى المالكى الغرناطى ، والمسمى [التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد].

ورتب أحاديث الموطأ على شيوخ مالك - رحمه الله تعالى- مما جعل الانتفاع به على طلاب العلم عسيرا ، فرتب الشرح بعد ذلك على أحاديث الموطأ بحسب الأبواب الفقهية كما رتبها الإمام مالك - رحمه الله تعالى- وسماه الاستذكار.

وقد كان من ضمن أحاديث الموطأ حديث أبى هريرة - رضى الله عنه- فى تنزل الرب - تبارك وتعالى- إلى السماء الدنيا ، وكان خلاف الأشاعرة ومن وافقهم لأهل السنة فى باب الأسماء والصفات ، ولا زال سبب من أسباب الخلاف بين أهل السنة والجماعة ، مع أن الأئمة الكبار ، ومنهم الأئمة الأربعة لم تكن عندهم هذه التأويلات المخالفة لما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه.

حتى إنك لتجد العالم أو غيره يدعى اتباع الإمام مالك فى الفقه ، ثم يقول: إنه فى العقيدة أشعرى ، وفى الطريقة صوفى تيجانى.

وإذا كان من أهل المشرق قال: إنه حنفى المذهب ، قادرى الطريقة ماتريدى فى العقيدة ، وهكذا فى أتباع المذاهب الأخرى مما يتضح منه مخالفة هؤلاء الأتباع للأئمة الكبار الذين يدعون الانتماء إلى مذاهبهم.

وكان من أحسن الوسائل لهدايتهم وأسهلها نشر مؤلفات أولئك الأئمة ، أو أتباعهم على الحقيقة من محققى مذاهبهم ليتبين لهؤلاء وجه الحق وما كان عليه سلف الأمة فى الفقه والعبادة والعقيدة.

وكان من هؤلاء فى المذهب المالكى ، الإمام ابن عبدالبر- رحمه الله تعالى- الذى شهد له العلماء بإمامته فى مذهب مالك - رحمه الله تعالى- بل إمامته فى السنة مع سلامة المعتقد[(١)].

وقد يسر الله - تعالى- لنا قراءة الموطأ على شيخنا الجليل فهد بن حمين الفهد عام ١٤٠٨هـ ، وكانت القراءة بالنسخة التى طبعتها دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى وشركاه) صححها ورقمها وعلق عليها الشيخ المحقق محمد فؤاد عبد الباقى - رحمه الله- والحديث فى كتاب القرآن ، باب ما جاء فى الدعاء برقم(٣٠)[(٢)].

---

(١) فيا أيها المالكيون ، إن موطأ مالك وشرحه التمهيد والاستذكار ومثلهما هي أصولكم وأصول أئمتكم إن كنتم تعقلون ، فأرجو الله أن يردنا وإياكم ردا جميلا إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وكتب سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم] ا.هـ.

(٢) الموطأ ، الجزء الأول ، صفحة ٢١٤.

كما يسر الله - تعالى- لى قراءة التمهيد كاملا منفردا ، وأرجع إلى مشايخى فيما رأيت فيه أهمية لذلك ، وكان منه - ولله الحمد- قراءة شرح ابن عبدالبر لهذا الحديث عام ١٤١٠هـ على شيخى فهد بن حمين الفهد ، وهو أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومن تلاميذ الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله- حيث لازمه أكثر من سبع وعشرين سنة حتى توفى ، وكنت منذ قراءتى لهذا الشرح وأنا أراود نفسى فى نشره مفردا ؛ ليسهل على طلاب العلم الاطلاع عليه واقتناءه ، ولأهمية القواعد التى قررها - رحمه الله- فى باب الأسماء والصفات ، وها هو الآن يخرج - بحمد الله تعالى- بتعليق يسير ؛ لوضوحه ولقلة الزاد ، وقد كنت أود أن ألحق به بعض تعليقات ابن عبدالبر على أحاديث أخرى فى الموطأ ، وإن كان لا يستطرد فيها ، بل يحيل كثيرا على شرحه لحديث ابن شهاب ، وقد ألحقت به جوابا لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى ، وله شرح على حديث النزول أسهب فيه وهو فى مجموع الفتاوى لمن شاء الرجوع إليه ورسالة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله [**القواعد المثلى فى أسماء الله وصفاته الحسنى**] ، ينبغى قراءتها ، فهى جامعة فى بابها ، ولعله يتيسر لى أو

لغيرى من طلبة العلم استقصاء ذلك لسائر علماء المالكية ، وكذا غيرهم من أئمة المذاهب ؛ ليحصل اجتماع الأمة على الحق من أقوال الأئمة ، والله المستعان ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبدالله عبد المحسن بن عبدالله الزكرى

ديوان المظالم بالرياض الرمز البريدى ١١١٣٨

ناسوخ ٢٦٠٤٧٧٤

****

نص الحديث فى الموطأ

من رواية أبى محمد يحيى بن يحيى المصمودى - رحمه الله تعالى- قال: حدثنى مالك ، عن ابن شهاب ، عن أبى عبدالله الأغر ، وعن أبى سلمة ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: ((**ينزل ربنا - تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**)).

وقد أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ١٥] ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل.

قال الإمام أبو عمر بن عبدالبر - رحمه الله تعالى- فى كتابه التمهيد لما فى موطأ مالك من المعانى والأسانيد فى شرحه للحديث الثامن من أحاديث ابن شهاب:

حديث ثامن لابن شهاب(١) ، عن أبى سلمة(٢)، يشارك فيه أبا سلمة أبو عبدالله الأغر ، واسمه سلمان ثقة رضى(٣) مالك عن ابن

---

(١) ترجم له ابن عبدالبر في التمهيد عند أول رواية له وهي مالك عن ابن شهاب عن أنس ﷺ وأطال فى ذلك ، واسمه محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى.... ، وكنيته أبو بكر ، وكان من علماء التابعين وفقهائهم ، مقدم فى الحفظ والإتقان والرواية والاتساع ، إمام جليل من أئمة الدين ، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم .... ، ولد سنة إحدى وخمسين ، وقيل: سنة ثمان وخمسين .... ومات سنة أربع وعشرين ومائة ، فى شهر رمضان ليلة سبع عشرة منه وهو ابن ست وستين] التمهيد الطبعة المغربية ٦/ ١٠١-١١٤، و٣/ ٤٦ ، طبعة دار إحياء التراث.

(٢) ترجم له ابن عبدالبر [هو أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى القرشي ، أحد فقهاء المدينة الجلة الثقات الأثبات ، وقد ذكرنا نسب أبيه فى كتاب الصحابة ، واختلف فى اسم أبي سلمة هذا فقيل اسمه عبدالله ، وقيل اسمه كنيته ، ذكر البخارى قال: قال لي ابن أبي أويس عن مالك: أبو سلمة اسمه كنيته ....توفى سنة أربع وتسعين .... وهو ابن اثنتين وسبعين ....] التمهيد٧/ ٥٧ ، والتقريب ٥٦٨ (٨١٤٢).

(٣) قال ابن عبدالبر:[أبو عبدالله الأغر اسمه سلمان مولى جهينة، من تابعي المدينة، وأصله من أصبهان، وهو ثقة كبير، حجة فيما نقل] التمهيد٦/ ١٧، الجرح والتعديل للرازى٤/ ٢٩٧(١٢٩٢) ، طبعة دار الكتب العلمية، تهذيب التهذيب لابن حجر ، صورة عن الطبعة الأولى لمجلس دائرة المعارف النظامية بالهند عام ١٣٢هـ ٤/ ١٣٩ (٢٣٤).

شهاب عن أبى سلمة بن عبدالرحمن ، وأبى عبدالله الأغر جميعا ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((**ينزل ربنا - تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟**)).

هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الإسناد ، لا يختلف أهل الحديث فى صحته ، رواه أكثر الرواة عن مالك هكذا كما رواه يحيى.

ومن رواة الموطأ من يرويه عن مالك عن ابن شهاب عن أبى عبدالله الأغر لا يذكر أبا سلمة ، وهو حديث منقول من طرق متواترة ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبى ﷺ.

وقد روى عن الحنينى[(١)] عن مالك عن الزهرى عن أبى عبيد[(٢)] مولى ابن عوف عن أبى هريرة.

---

(١) الحنيني بالتصغير - بضم المهملة ونونين - مصغر ، هو إسحاق بن إبراهيم المدني أبو يعقوب ، نزيل طرسوس ، كان مالك يعظمه ويكرمه ، وهو ضعيف ، توفى سنة ٢١٦هـ ، روى له أبو داود وابن ماجه، انظر التقريب لابن حجر ٣٩ (٣٣٧) ، طبعة مؤسسة الرسالة ، وقال الذهبي فى المغني: [ضعفه ابن عدى وغيره ، وقال البخاري: فيه نظر] ، المغني فى الضعفاء للذهبى ١/ ١١٥ (٥٣٤).

(٢) هو سعد بن عبيد الزهرى ، كان من القراء ، ومن فقهاء أهل المدينة ، مجمع على ثقته ، توفى سنة ٩٨، وأدرك العهد النبوى، روى له الستة. التقريب١٧١(٢٢٤٨).

ولا يصح هذا الإسناد عن مالك ، وهو عندى وهم ، وإنما هو عن الأعرج[(١)] ، عن أبى هريرة.

وكذلك لا يصح فيه رواية عبدالله بن صالح[(٢)] ، عن مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب[(٣)] ، عن أبى هريرة.

وصوابه عن الزهرى عن الأعرج وأبى سلمة جميعا عن أبى هريرة.

ورواه زيد بن يحيى بن عبيد الله الدمشقى ، وروح بن عبادة وإسحاق بن عيسى الطباع عن مالك عن الزهرى عن الأعرج عن أبى هريرة.

وفيه دليل على أن الله - عز وجل- فى السماء على العرش من فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على

---

(١) هو عبدالرحمن بن هرمز الأعرج ، أبو داود المدني ، مولى ربيعة بن الحارث ثقة ثبت ، عالم من الطبقة الثالثة ، مات سنة ١١٧هـ ، أخرج له الستة، تهذيب التهذيب٦/ ٢٩٠(٥٦٦) ، والتقريب٢٩٣(٤٠٣٣).

(٢) هو أبو صالح الجهني المصرى ، كاتب الليث ، صدوق ، كثير الغلط ، ثبت فى كتابه توفى سنة ٢٢٢هـ ، علق له البخارى وأخرج له الأربعة إلا النسائي، تهذيب التهذيب٥/ ٢٥٦ (٤٤٨).

(٣) من كبار التابعين ، وشهرته تغني عن تعريفه ، التقريب ١٨١ (٢٣٩٦).

المعتزلة(١).

---

(١) قيل: إن سبب تسميتهم بالمعتزلة أن شيخهم ومؤسس طريقتهم واصل بن عطاء الغزال الألثغ (ت ١٣١هـ) كان تلميذا للحسن البصرى - رحمه الله- ثم اعتزله وجعل له حلقة مستقلة فسموا بالمعتزلة ، ويقال لهم أيضا الواصلية ، واعتزالهم يدور على أربع قواعد: الأولى القول بنفي صفات البارئ تعالى ، من العلم والقدرة والإرادة والحياة ......، الثانية: القول بالقدر، وسلكوا فى ذلك مسلك معبد الجهني * وغيلان الدمشقي **. الثالثة: القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أى أن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن وإنما بمنزلة بينهما ، وفى الآخرة من أهل النار إن لم يتب ، الرابعة: قوله فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين إن أحدهما مخطئ لا بعينه ، وكذلك قوله فى عثمان وقاتليه وخاذليه، قال: إن أحد الفريقين فاسق لامحالة، والفاسق عندهم فى الآخرة فى النار لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار ، باختصار من الملل والنحل للشهرستاني١/ ٤٣ ، وقد قسمهم إلى أكثر من اثنتي عشرة فرقة ، دراسات في الأهواء و الفرق و البدع وموقف السلف منها ، د. ناصر العقل ٢٥٧.

* معبد الجهني قتل سنة٨٠هـ قيل: إنه أول من تكلم فى الإسلام بالقدر وذكر أنه أخذه عن نصراني من الأساورة اسمه أبو يونس سنسويه ويعرف بالأسوارى ، ترجم له فى التقريب (٦٧٧٧) ، وقال عنه أنه صدوق مبتدع، وأخرج له بن ماجه.

** غيلان الدمشقي أخذ القول بنفي القدر عن معبد الجهني ، وأمر عمر بن عبد العزيز بقتله ، لولا أنه أظهر الرجوع والتوبة ، ثم عاد إلى قوله أيام هشام بن عبدالملك فأمر بصلبه على باب دمشق.

والجهمية[١] فى قولهم: إن الله - عز وجل- فى كل مكان وليس على العرش.

والدليل على صحة ما قالوه أهل الحق فى ذلك:

قول الله - عز وجل:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥].

وقوله - عز وجل: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾ [السجدة:٤] ، وقوله:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت:١١].

وقوله: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء:٤٢].

وقوله تبارك اسمه:﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وقال:﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك:١٦].

---

(١) الجهمية نسبة إلى رأسهم الجهم بن صفوان السمرقندى ، داعية الكفر والضلال ، قتله سالم بن أحوز أمير خراسان سنة (١٢٨هـ) ترجم له الذهبى فى ميزان الاعتدال١/ ٤٢٦ (١٥٨٤).

وقال- جل ذكره:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ [الأعلى:١] وهذا من العلو ، وكذلك قوله العلى العظيم والكبير المتعال ورفيع الدرجات ذو العرش ، ويخافون ربهم من فوقهم ، والجهمى يزعم أنه أسفل.

وقال - جل ذكره: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة:٥].

وقوله: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤].

وقال لعيسى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:٥٥].

وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨].

وقال:﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [فصلت:٣٨].

وقال: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنبياء:١٩].

وقال: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ [المعارج:٢،٣] ، والعروج هو الصعود.

وأما قوله تعالى:﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الملك:١٦] ، فمعناه من على السماء ، يعنى على العرش ، وقد يكون فى بمعنى على ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [التوبة:٢] ، أى على الأرض.

وكذلك قوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه:٧١] ، وهذا كله يعضده قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤] وما كان مثله مما تلونا من الآيات فى هذا الباب ، وهذه الآيات كلها واضحات فى إبطال قول المعتزلة ، وأما ادعاؤهم المجاز فى الاستواء ، وقولهم فى تأويل ((استوى)) استولى فلا معنى له ؛ لأنه غير ظاهر فى اللغة ، ومعنى الاستيلاء فى اللغة المغالبة ، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد وهو الواحد الصمد.

ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما

يوجه كلام الله - عز وجل- إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم.

ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات ، وجل الله - عز وجل- عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين.

والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم ، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه.

قال أبو عبيدة في قوله تعالى: استوى ، قال: علا ، قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة ، واستويت فوق البيت.

وقال غيره: استوى ، أي انتهى شبابه واستقر ، فلم يكن في شبابه مزيد.

قال أبو عمر: الاستواء: الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله - عز وجل- وقال:﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [الزخرف:١٣].

وقال: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود:٤٤].

وقال: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون:٢٨].

وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى ؛ لأن النجم لا يستولى.

وقد ذكر النضر بن شميل - وكان ثقة مأمونا جليلا في علم الديانة واللغة- قال: حدثنى الخليل - وحسبك بالخليل- قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابى ، وكان من أعلم من رأيت ، فإذا هو على سطح ، فسلمنا فرد علينا السلام وقال لنا: استووا! فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال! قال: فقال لنا أعرابى إلى جنبه: إنه أمركم أن ترتفعوا.

قال الخليل: هو من قول الله - عز وجل:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت:١١] ، فصعدنا إليه فقال: هل لكم فى خبز فطير ولبن هجير وماء نمير؟ فقلنا: الساعة فارقناه[1] ، فقال: سلاما ، فلم ندر ما قال ، فقال الأعرابى: إنه سالمكم متاركة لا خير فيها ولا شر.

قال الخليل: هو من قول الله - عز وجل: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣].

---

(١) فى نسخة إحياء التراث٣/ ٧٨ [فقلنا فارقناه الساعة].

وأما نزع من نزع منهم بحديث يرويه عبد الله بن واقد الواسطى[١] عن إبراهيم بن عبد الصمد[٢] ، عن عبد الوهاب بن مجاهد[٣] ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ على جميع بريته فلا يخلو منه مكان.

فالجواب عن هذا: أن هذا حديث منكر عن ابن عباس ونقلته مجهولون ضعفاء ، فأما عبدالله بن داود الواسطى وعبدالوهاب بن مجاهد فضعيفان ، وإبراهيم بن عبدالصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول ، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا أو أنصفوا.

أما سمعوا الله - عز وجل- حيث يقول:﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ

---

(١) الصواب أنه عبد الله بن داود الواسطي ، وهو ما ذكره بن عبدالبر بعد أسطر، ولعل الخطأ من النساخ مع وضوحه، ترجم له فى التقريب٢٤٤(٣٢٩٨)، وقال[....أبو محمد التمار ضعيف ، من التاسعة ، أخرج له الترمذى] ، وفى تهذيب التهذيب٥/ ٢٠٠(٣٤٦).

(٢) ميزان الاعتدال١/ ٤٦ (١٤٢) ، وفى المغني للضعفاء١/ ٥٤ (١٢٣).

(٣) قال فى التقريب٣٠٩(٤٢٦٣): [متروك ، وقد كذبه الثورى ، من السابعة ، أخرج له ابن ماجه].

إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر:٣٦،٣٧] ، فدل على أن موسى – عليه السلام– كان يقول: إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا.

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ، ومن هو فوق العرش فرد موحد مليك على عرش السماء مهيمن...لعزته تعنو الوجوه وتســجد.

وهذا الشعر لأمية بن أبى الصلت(١):

وفيه يقول فى وصف الملائكة:

فمن حامل إحدى قوائم عرشه ولولا إله الخلق كلوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانون تحـته فرائصهم(٢)من شدة الخوف ترعد

---

(١) أمية بن أبي الصلت الثقفي ، كان يقرأ كتب النصارى ويجتمع برهبانهم فى الشام ، ورجا أن يكون هو النبي الموعود فلبس المسوح وترهب ، فلما بعث النبي محمد بن عبد الله ﷺ حسده ولم يؤمن به ، وكان أبو سفيان صديقا له وبعد عودتهما من الشام وسماعهما من علماء النصارى أن النبي قد بعث عجل أمية إلى الطائف ينتظر لعله يكون هو ، فأرسل له أبو سفيان أن محمدا قد بعث وأوحي إليه يبشره بذلك ، فقال: إني لأعلم أنه حق ، ولكن لا أؤمن بنبي من غير ثقيف ، أسلمت أخته عاتكة وابنه القاسم.

(٢) [الفريص والفرائص: جمع فريصة ، وهي لحمة عند نغض الكتف فى وسط الجنب عند منبض القلب ، ترعد وتثور عند الفزعة والغضب....] الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى٣ / ٩٨ ، وفى نسخة دار إحياء التراث [فرائضهم] بالضاد المعجمة ، وهو خطأ.

قال أبو عمر: فإن احتجوا بقول الله - عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤].

وبقوله:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣]

وبقوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة:٧].

وزعموا أن الله - تبارك وتعالى- في كل مكان بنفسه وذاته - تبارك وتعالى .

قيل لهم: لا خلاف بيننا وبينكم ، وبين سائر الأمة أنه ليس فى الأرض دون السماء بذاته ، فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه ؛ وذلك أنه فى السماء إله معبود من أهل السماء ، وفى الأرض إله معبود من أهل الأرض.

وكذلك قال أهل العلم بالتفسير، فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش والاختلاف فى ذلك بيننا فقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر .

وأما قوله فى الآية الأخرى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤] فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض ، فتدبر هذا ، فإنه قاطع إن شاء الله.

ومن الحجة أيضا فى أنه - عز وجل- على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر ، أو نزلت بهم شدة ، رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم - تبارك وتعالى.

وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته ؛ لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم.

وقد قال ﷺ للأمة التى أراد مولاها عتقها: إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها:((أين الله؟)) فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها: ((من أنا؟)) قالت: رسول الله ، قال: ((أعتقها فإنها مؤمنة)) ، فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه.

أخبرنا عبيد بن محمد قال: حدثنا عبد الله بن مسرور قال: حدثنا

عيسى بن مسكين قال: حدثنا محمد بن سنجر قال: حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا الأوزاعى قال: حدثنا يحيى بن أبى كثير عن هلال بن أبى ميمونة ، عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم قال: أطلقت غنيمة لى ترعاها جارية لى فى ناحية أحد فوجدت الذئب قد أصاب شاة منها وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون فصككتها صكة! ثم انصرفت إلى النبى ﷺ فأخبرته فعظم على ، قال فقلت: يا رسول الله فهلا أعتقها! قال فأتنى بها ، قال: فجئت بها إلى النبى ﷺ فقال لها: أين الله؟ فقالت فى السماء ، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ، قال إنها مؤمنة فاعتقها(١).

---

(١) مسلم (٥٣٧) ، والنسائي٣/ ١٤، وأبو داود الطيالسي(١١٠٥) ، وأحمد فى المسند ٥/ ٤٤٨ ، وابن حبان(١٦٥)، ورواه الشافعي فى الرسالة فقرة (٢٤٢) ، وفى الأم ٥/ ٢٨٠، ومالك في الموطأ ، باب ما يجوز من العتق فى الرقاب الواجبة من كتاب العتق والولاء ٢/ ٧٧٦، وقد علق المحقق فى الطبعة المغربية بما يقصد من ورائه إبطال الاستدلال بهذا الحديث فقال: [وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها الحافظ البيهقي فى السنن الكبرى بحيث يجزم الواقف عليها أن اللفظ المذكور هنا مروى بالمعنى حسب فهم الراوى ، ويؤيد ذلك أن المعهود من حال النبي ﷺ الثابت عنه بالتواتر أنه يختبر إسلام الشخص بسؤاله عن الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام ودليله ، أما كون الله فى السماء فكانت عقيدة العرب فى الجاهلية ، وكانوا مشركين ، فكيف تكون دليلا على الإسلام] ويجاب عنه بأمور منها أن رواية الأئمة له بهذا المعنى دليل على قول الصحابة والتابعين به والسلف الذين رووه كذلك ، بالإضافة إلى أنه مع تعدد=

مختصر ، أنا اختصرته من حديثه الطويل من رواية الأوزاعي وهو من حديث مالك أيضا ، وسيأتي في موضعه من كتابنا - إن شاء الله[(١)].

وأما احتجاجهم لو كان في مكان لأشبه المخلوقات ؛ لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته مخلوق ، فشيء لا يلزم ولا معنى له ؛ لأنه - عز وجل- ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته لا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس ، لا إله إلا هو كان قبل كل شيء ثم خلق الأمكنة والسماوات والأرض وما بينهما وهو الباقي بعد كل شيء وخالق كل شيء لا شريك له.

وقد قال المسلمون: وكل ذي عقل أنه لا يعقل كائن لا في مكان منا ، وما ليس في مكان فهو عدم ، وقد صح في المعقول وثبت بالواضح من الدليل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بمعدوم ، فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه

= الروايات ورد في أغلبها هذا اللفظ ، ولو كان ذلك من عقائد المشركين المخالفة للحق لأنكره النبي ﷺ ، ثم كيف يجرؤ على هذا القول وهو يقرأ النص المحقق للإمام ابن عبدالبر يناقش فيه شبه المنحرفين في هذا الباب ، ولكن لعله لم يلق السمع وهو شهيد ، غفر الله لنا وله.

(١) التمهيد ٩/ ١١٣ ، و٢٢/ ٧٥ .

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، الذى لا يبلغ من وصفه إلا إلى ما وصف به نفسه ، أو وصفه به نبيه ورسوله ، أو اجتمعت عليه الأمة الحنيفية عنه.

فإن قال قائل منهم: إنا وصفنا ربنا أنه كان لا فى مكان ثم خلق الأماكن فصار فى مكان ، وفى ذلك إقرار منا بالتغيير والانتقال ، إذ زال عن صفته فى الأزل وصار فى مكان دون مكان ، قيل له: وكذلك زعمت أنت أنه كان لا فى مكان وانتقل إلى صفة هى الكون فى كل مكان ، فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان إلى كل مكان ، وهذا لا ينفك منه لأنه إن زعم أنه فى الأزل فى كل مكان كما هو الآن ، فقد أوجب الأماكن والأشياء موجودة معه فى أزله وهذا فاسد.

فإن قيل: فهل يجوز عندك أن ينتقل من لا مكان فى الأزل إلى مكان؟

قيل له: أما الانتقال وتغير الحال ، فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه ؛ لأن كونه فى الأزل لا يوجب مكانا ، وكذلك نقله لا يوجب مكانا ، وليس فى ذلك كالخلق ؛ لأن كون ما كونه يوجب مكانا من الخلق ، ونقلته توجب مكانا ويصير منتقلا من مكان إلى مكان ، والله - عز وجل- ليس كذلك.

لأنه فى الأزل غير كائن فى مكان ، وكذلك نقلته لا توجب مكانا وهذا ما لا تقدر العقول على دفعه ، ولكنا نقول: استوى من لا مكان[١] إلى مكان ، ولا نقول: انتقل ، وإن كان المعنى فى ذلك واحدا ألا ترى أنا نقول له: العرش ولا نقول له: سرير ومعناهما واحد ، ونقول: هو الحكيم ولا نقول: هو العاقل ، ونقول: خليل إبراهيم ولا نقول: صديق إبراهيم ، وإن كان المعنى فى ذلك كله واحدا ، لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه إلا ما سمى به نفسه[٢] على ما تقدم ذكرنا له من وصفه لنفسه لا شريك له ، ولا ندفع ما وصف به نفسه ؛ لأنه دفع للقرآن.

وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] ، وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا انتقالا ؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائى جسما أو جوهرا ، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا

---

(١) هذا يخالف القاعدة التي قعدها فى أن لا نتكلم إلا بما ورد.

(٢) هذه قاعدة نفيسة ويقولها علماء السنة ، إلا أنها عند التطبيق على مفرداتها يخطئ البعض ولا يخرجهم ذلك عن كونهم من أهل السنة ؛ لأنه ليس خلاف فى المنهج يوجب خلافا ، ولكنه يوجب اختلافا فى التطبيق فى حدود يلزم معها التناصح للوصول إلى الحق.

جوهر[١] ، لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة ولو اعتبرت ذلك بقولهم: جاءت فلانا قيامته ، وجاءه الموت ، وجاءه المرض ، وشبه ذلك مما هو موجود نازل به ولا مجيء ، لبان لك وبالله العصمة والتوفيق.

فإن قال: إنه لا يكون مستويا على مكان إلا مقرونا بالتكييف ، قيل: قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفعا[٢]، وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء.

ولو لزم هذا لزم التكييف فى الأزل ؛ لأنه لا يكون كائنا فى لا مكان إلا مقرونا بالتكييف ، وقد عقلنا وأدركنا بحواسنا أن لنا أرواحا فى أبداننا ولا نعلم كيفية ذلك ، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يوجب أن ليس لنا أرواح ، وكذلك ليس جهلنا بكيفية[٣]على عرشه يوجب أنه ليس على عرشه.

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخزاعى

---

(١) هذا يخالف القاعدة التي قعدها أن لا نتكلم إلا بما ورد ، والنفي حكم كما الإثبات.

(٢) أى ممتنع.

(٣) هكذا فى النسخ المطبوعة ، والكلام فيه نقص ، ولعله سقط كلمة [استوائه] ، أو تكون [بكيفيته].

قال: حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس[(١)] ، عن عمه أبى رزين العقيلى قال: قلت يا رسول الله ، أين كان ربنا - تبارك وتعالى- قبل أن يخلق السماء والأرض قال: ((كان ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء))[(٢)].

---

(١) في المغربية [حرس] ، وعلق المحقق بأنه هكذا فى الأصل المخطوط والصواب: حدس بحاء ودال مهملتين مضمومتين ، وقال ابن حجر فى التقريب٥١١(٥.١٤١٧): وكيع بن عدس بمهملات وضم أوله وثانيه، ويقال بالحاء بدل العين ، أبو مصعب العقيلي، بالفتح ، الطائفي ، مقبول من الرابعة أخرج له أصحاب السنن ، ورجح المحقق لمسند أحمد ، طبعة دار الرسالة أن الصواب حدس ، قاله الإمام أحمد ، واختار الترمذى عدس وقال هو الأصح ، مسند أحمد ٢٦/ ١٠٠.

(٢) ضعيف لجهالة وكيع بن حدس ، وأخرجه الترمذى (٣١٠٩) ، وابن ماجه (١٨٢) وأحمد فى مسنده (١٦١٨٨) ٢٦/١٠٨، وقال الترمذى: حديث حسن ، والراجح أنه ضعيف ؛ لأنه انفرد بالرواية عنه يعلى بن عطاء وهو العامرى ، قال ابن القطان: مجهول الحال ، وقال الذهبي: لا يعرف ، وقال ابن قتيبة: غير معروف ، وقال الحافظ فى التقريب: مقبول ، وقد اختلف في اسم أبيه.

انظر التعليق على المسند ٢٦/ ١٠٠ ، ترجمة وكيع بن حدس فى ميزان الاعتدال ، ج٤ ص٣٣٥ رقم (٩٣٥٥) ، والجرح والتعديل ج٩ ، ص٣٦ برقم (١٦٥) ، ويعلى بن عطاء ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٣٠٢ ، رقم (١٣٠٢) ، ولم أجد له ترجمة فى الميزان. وقال فى التقريب: ثقة من الرابعة مات سنة عشرين أو بعدها ، أخرج له البخارى فى جزء القراءة وأصحاب السنن الأربعة ، التقريب ص٥٣٨ برقم (٧٨٤٥).

قال أبو عمر: قال غيره في هذا الحديث: ((كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء))[١] ، والهاء في قوله: فوقه وتحته راجعة إلى العماء.

وقال أبو عبيد: العماء هو الغمام وهو ممدود ، وقال ثعلب: هو عما مقصور ، أى في عما عن خلقه ، والمقصود الظلم ، ومن عمى عن شيء ، فقد أظلم عليه.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال: حدثنا أحمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا سريج بن النعمان قال: حدثنا عبد الله بن نافع قال: قال مالك بن أنس: الله - عز وجل- في السماء ، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان.

قال: وقيل لمالك: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه:٥] ، كيف استوى؟

فقال مالك - رحمه الله: استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة ، وأراك رجل سوء.

---

(١) سبق تخريجه.

وقد روينا عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن أنه قال فى قول الله - عز وجل: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ مثل قول مالك هذا سواء.

وأما احتجاجهم بقوله - عز وجل: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ ﴾ [المجادلة:٧] ، فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية ؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل فى القرآن قالوا فى تأويل هذه الآية: هو على العرش ، وعلمه فى كل مكان ، وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله.

ذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم فى قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾ الآية قال: هو على عرشه وعلمه معهم أين ما كانوا ، قال: وبلغنى عن سفيان الثورى مثله.

قال سنيد: وحدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود قال: الله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من أعمالكم.

قال سنيد: وحدثنا هشيم عن أبى بشر عن مجاهد قال: إن بين العرش وبين الملائكة سبعين حجابا ، حجاب من نور وحجاب من ظلمة.

وأخبرنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد بن جبير وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبد الله بن صالح قال: حدثنا يزيد بن هارون عن حماد ابن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسى مسيرة خمسمائة ، والعرش على الماء ، والله - تبارك وتعالى- على العرش يعلم أعمالكم(١).

---

(١) موقوف على ابن مسعود وسنده حسن ، أخرجه ابن جرير فى تفسيره ٢٨/ ١٥٣ عند تفسيره لآية(١٢) من سورة الطلاق ، قال: حدثنا أبو كريب قال: ثنا أبو بكر عن عاصم عن زر عن عبد الله قال:(خلق الله سبع سموات غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام وبين كل واحدة منهن خمسمائة عام وفوق السبع سموات الماء ، والله - جل ثناؤه- فوق الماء لا يخفي عليه شيء من أعمال بني آدم) وذكره القرطبي فى تفسيره لآية الكرسي. وفى مجمع الزوائد للهيثمي(١/ ٨٦) كتاب الايمان ، باب إن الله لاينام ، قال: [وعن ابن مسعود - رضى الله عنهما- أنه قال: ما بين سماء الدنيا ملكا تليها مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماءين خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي ظاهرا خمسمائة عام والعرش على الماء والله - جل ذكره- على العرش يعلم ما أنتم عليه ، رواه الطبراني فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح].

قال أبو عمر: لا أعلم في هذا الباب حديثا مرفوعا إلا حديث عبدالله بن عميرة ، وهو حديث مشهور بهذا الإسناد رواه عن سماك جماعة ، منهم أبو خالد الدالاني وعمرو بن أبي عمرو بن أبي قيس وشعيب بن أبي خالد ، وابن أبي المقدام وإبراهيم بن طهمان ، والوليد بن أبي ثور ، وهو حديث كوفي.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر قال: حدثنا أبو داود وأنبأنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا محمد بن إسماعيل قالا: حدثنا محمد بن الصباح الدولابي البزار قال: حدثنا الوليد بن أبي ثور ، عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ نظر إلى سحابة مرت فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب قال: والمزن؟ قالوا: والمزن ، قال: والعنان؟ قالوا: نعم قال: كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا: لا ندري ، قال: بينكم وبينها إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعون سنة ، والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال[1] بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله فوق

---

(١) الوعل: تيس الجبل ، جمعه أوعال ووعول ووعل.

ذلك[1].

---

(١) إسناده ضعفه بعض أهل العلم وقواه آخرون ، أخرجه أبو داود(٤٧٢٣) وابن ماجه (١٩٣) ، وأحمد (١/ ٢٠٧) من طريق محمد بن الصباح الدولابي البزار بهذا الإسناد ، وسبب الضعف الوليد بن أبي ثور ضعفه أحمد وغيره ، قال عنه ابن الجوزى فى الضعفاء والمتروكين(٣/ ١٨٣) برقم (٣٦٤٢)[الوليد ابن أبي ثور قال النسائي ضعيف] ، وقال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال فى نقد الرجال (٧/ ١٣٣) [ت الوليد ابن عبد الله بن أبي ثور الهمداني الكوفى عن سماك وزياد بن علاقة وعنه محمد الدولابي وسعيد بن محمد الجرمي وجماعة ، ضعفه أحمد و صالح جزرة وغيرهما ولم يترك ، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة ، وقال فيه محمد بن عبد الله بن نمير ليس بشيء كذاب ، وقال ابن معين: ليس بشيء ، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال أبو زرعة: منكر الحديث يهم كثيرا ، وقال مرة فى حديثه واه ، وساق له ابن عدى أحاديث مقاربة تحتمل ومتونها قوية] وفى تهذيب التهذيب ١١/ ١٢١ برقم ٢٢٩.

وعبد الله بن عميرة شبه مجهول ، ولنكارة المعنى حيث وصف الملائكة بأنهم أوعال لهم قرون وأظلاف ، والقرآن ذم المشركين ؛ لأنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، مع أن بعض الإناث أفضل من بعض الرجال ، فكيف تجعل الملائكة تيوسا ، هذا ملخص ما علق به محققي التمهيد ومن وافقهم.

ورواه الترمذى فى سننه (٥/ ٤٢٤) برقم (٣٣٢٠) بسنده [حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرحمن بن سعد عن عمرو بن أبي قيس عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب ....] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ، وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه ، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفه ولم يرفعه وعبد الرحمن هو بن عبد الله بن سعد الرازى.

=

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٠٦ في حديث آخر فيه الوليد:[وفيه الوليد بن أبي ثور ضعفه أبو زرعة وجماعة وزكاه شريك] وفي موضع آخر٦/ ٢٤٨ قال:[وفيه الوليد بن أبي ثور وهو ضعيف]

وعلق الألباني - رحمه الله- على السنة لابن أبي عاصم١/ ٢٥٤(٥٧٧) [إسناده ضعيف عبد الله بن عميرة قال الذهبي: فيه جهالة قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس ، والحديث أخرجه أبو داود ٢٧٢٤، والترمذي ٢٣٣٢ ، وابن خزيمة في التوحيد ٦٨ من طرق أخرى عن عبد الرحمن بن عبد الله الرازي به، وأخرجه أبو داود أيضا ، وابن ماجه ١٩٣، والآجري في الشريعة ٢٩٢ عن طريق أخرى عن عمرو ابن أبي محسن وعمرو هذا صدوق له أوهام وتابعه يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد حدثني سماك بن جهان به ، إلا أنه قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، أخرجه يحيى ابن العلاء متهم بالوضع ، وعمه شعيب بن خالد لا بأس به، وقد تابعه إبراهيم بن طهمان عن سماك باللفظ الأول ، أخرجه الآجري].

وفي حاشية ابن القيم على أبي داود (١٣/ ٥) ذكر حديث العباس الذي فيه ذكر بعد ما بين سماء وسماء ثم قال: قد رد هذا الحديث بشيئين أحدهما بأن فيه الوليد بن أبي ثور ولا يحتج به ، والثاني بما رواه الترمذي من حديث قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال: بينما نبي الله ﷺ جالس في أصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب فقال النبي ﷺ: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: هذا العنان ، هذه روايا الأرض يسوقها الله - تعالى- إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال: هل تدرون ما فوقكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: إنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ، ثم قال: هل تدرون كم بينكم وبينها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ؟ قال: فإن فوق ذلك سماءين ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال: هل تدرون=

= ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال: هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإنها الأرض ، ثم قال: هل تدرون ما الذى تحت ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: فإن تحتها أرض أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال: والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبلٍ إلى الأرض السفلي لهبط على الله ثم قرأ ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ [الحديد: ٣] قالوا: هذا خلاف حديث العباس فى موضعين فى ذكر بعد المسافة بين السموات وفى نفي اختصاص الرب بالفوقية ، قالوا المثبتون: أما رد الحديث الأول بالوليد ابن أبي ثور ففاسد ، فإن الوليد لم ينفرد به بل تابعه عليه إبراهيم بن طهمان كلاهما عن سماك ومن طريقه رواه أبو داود ورواه أيضا عمرو بن أبي قيس عن سماك ومن حديثه رواه الترمذى عن عبد بن حميد حدثنا عبد الرحمن بن سعد عن عمرو ابن قيس قال الترمذى: قال عبد بن حميد سمعت يحيى بن معين يقول: ألا تريدون ابن عبد الرحمن بن سعد أن يحج حتى نسمع منه هذا الحديث ، ورواه الوليد بن أبي ثور عن سماك ومن حديثة رواه ابن ماجه فى سننه ، فأى ذنب للوليد فى هذا ونصف تعلق عليه وإنما ذنبه راويته ما يخالف قول الجهمية ، وهي علته المؤثرة عند القوم ، وأما معارضته لحديث الحسن عن أبي هريرة ففاسدة أيضا ، فإن الترمذى ضعف حديث الحسن هذا ، وقال فيه غريب فقط قال: ويروى عن أيوب ويونس ابن عبيد وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة ، قال بعض أهل العلم: هذا الحديث فقالوا: إنما معناه هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه. هذا التفسير الذى ذكره الترمذى يشبه التفسير الذي حكاه البيهقي عن أبي حنيفة - رحمه الله- فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] ، =

= فإنه قال: أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه ، أخبرنا أبو محمد ابن الحباب ، أخبرنا أحمد ابن جعفر بن نصر حدثنا يحيى بن يعلى قال: سمعت نعيم ابن حماد يقول: سمعت نوح بن أبي مريم يقول: كنا ثم أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة فأظنني أول ما رأيت إليها عشرة الآلاف من الناس يدعون إلى رأيها فقيل لها: إن ههنا رجلا نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة فأتته فقالت: أنت الذى تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين إلهك الذى تعبده فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا إن الله تعالى فى السماء دون الأرض ، فقال له رجل: أرأيت قول الله – تعالى– وهو معكم قال: هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه ، قال البيهقي فقد أصاب أبو حنيفة – رحمه الله– فيما نفي عن الله تعالى من الكون فى الأرض ، وفيما ذكر من تأويل الآية تبع فى قوله: إن الله – عز وجل– فى السماء ، هذا لفظه فى كتاب الأسماء والصفات ، قالوا : وأما اختلاف مقدار المسافة فى حديثي العباس وأبي هريرة فهو مما يشهد بتصديق كل منهما للآخر ، فإن المسافة يختلف تقديرها بحسب اختلاف السير الواقع فيها فسير البريد مثلا يقطع بقدر سير ركاب الإبل سبع مرات ، وهذا معلوم بالواقع فما تسيره الإبل سيرا قاصدا فى عشرين يوما يقطعه البريد فى ثلاثة فحيث قدر النبي ﷺ بالسبعين أراد به السير السريع سير البريد وحيث قدر بالخمسمائة أراد به السير الذى يعرفونه سير الإبل والركاب ، فكل منهما يصدق الآخر ويشهد بصحته ولو كان من الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا].

وقال المحدث محمد شمس الحق العظيم آبادى أبو الطيب فى عون المعبود (١٣/ ٧) [وهذا الحديث يدل على أن الله – تعالى– فوق العرش ، وهذا هو الحق وعليه يدل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين ، قالوا: إن الله – تعالى=

وفي رواية فروة بن أبى المغراء هذا الحديث عن الوليد بن أبى ثور قال: فى الأوعال ما بين رؤوسهم إلى أظلافهم مثل ذلك ، يعنى ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوقهم العرش ما بين أعلاه وأسفله مثل ذلك ثم الله فوق ذلك.

وفيه حديث جبير بن مطعم مرفوعا أيضا ، وأخبرنا عبد الوارث ابن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا أبى قال: سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير ابن[1] مطعم ، عن أبيه عن جده قال: أتى النبى ﷺ أعرابى فقال: يا رسول الله ، جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك!

= استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معلوم والكيف مجهول والجهمية قد أنكروا العرش ، وأن يكون الله فوقه وقالوا: إنه في كل مكان ولهم مقالات قبيحة باطلة وإن شئت الوقوف على دلائل مذهب السلف والاطلاع على رد مقالات الجهمية الباطلة فعليك أن تطالع كتاب الأسماء والصفات للبيهقي ، وكتاب العلو للذهبي ، والقصيدة النونية لابن القيم ، والجيوش الإسلامية لابن القيم - رحمهم الله تعالى].

(١) فى سنن أبي داود [جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده] وهو الصواب الحديث برقم (٤٧٢٦) (٤/ ٢٣٢).

فقال رسول الله ﷺ: ويحك أتدرى ما تقول؟ وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح! حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه.

ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك وتدرى ما الله ، إن الله على عرشه على سماواته وأرضه لهكذا ، وأشار بأصابعه الخمس مثل القبة وأشار يحيى ابن معين بأصابعه كهيئة القبة وإنه ليئط[(١)] أطيط الرحل بالراكب[(٢)].

---

(١) الأطيط قال فى القاموس: أط الرحل يئط أطيطا صوت من شدة ماحمل عليه ، والأطيط الجوع وصوت الإبل من ثقلها.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) ، وصحح هذا الحديث الإمام ابن القيم فى حاشيته على أبي داود (١٣/ ٩) ورد على من ضعفه بمحمد بن إسحاق.

وأخرجه بن أبي عاصم في السنة(١/ ٢٥٢) برقم (٥٧٥) وعلق الألباني عليه [إسناده ضعيف ورجاله ثقات لكن ابن إسحاق مدلس ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث وهذا ما لم يفعله فى ما وقفت عليه من الطرق إليه ؛ ولذلك استغربه الحافظ ابن كثير فى تفسير آية الكرسي من تفسيره كما تقدم ، ثم إن فى إسناده اختلافا كما يأتي ذكره ، والحديث أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) ، وابن خزيمة فى التوحيد ص ٦٩ ، والآجرى فى الشريعة ٢٩٣ من طرق عن محمد بن إسحاق به ، إلا أنهم قالوا عن عتبة عن جبير بن محمد به وهو رواية للمصنف كما يأتي بعده ، وقال أبو داود عقبه ، وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب ابن عتبة وجبيرين محمد بن جبير عن أبيه عن جده والصحيح ما رواه الجماعة عن ابن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد].

أخبرنى أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبدالله بن جعفر ابن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن واضح قال: حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى قال: حدثنا على بن الحسن بن شقيق قال: حدثنا عبد الله بن موسى الضبى قال: سألت سفيان الثورى عن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤] ، قال: علمه.

قال على بن الحسن: وسمعت ابن المبارك يقول: إن كان بخراسان أحد من الأبدال فهو معدان.

قال أبو داود: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى قال: حدثنا يحيى ابن موسى وعلى بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال: الرب - تبارك وتعالى- على السماء السابعة على العرش ، قيل له بحد ذلك؟ قال: نعم هو على العرش فوق سبع سموات.

قال: وحدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى قال: حدثنى محمد ابن عمرو الكلابى قال: سمعت وكيعا يقول: كفر بشر بن المريسى فى صفته هذه قال: هو فى كل شىء قيل له: وفى قلنسوتك هذه؟ قال: نعم! قيل له: وفى جوف حمار؟ قال: نعم!

وقال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية.

وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: ينزل - تبارك وتعالى- إلى سماء الدنيا ، فقد أكثر الناس التنازع فيه ، والذى عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ ويصدقون بهذا الحديث ولا يكيفون ، والقول فى كيفية النزول كالقول فى كيفية الاستواء والمجىء ، والحجة فى ذلك واحدة.

وقد قال قوم من أهل الأثر أيضا: أنه ينزل أمره وتنزل رحمته وروى ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره ، وأنكره منهم آخرون وقالوا: هذا ليس بشىء ؛ لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدا فى الليل والنهار ، وتعالى الملك الجبار الذى إذا أراد أمرا قال له: كن فيكون فى أى وقت شاء ، ويختص برحمته من يشاء متى شاء ، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن على الجبلى ، وكان من ثقات المسلمين بالقيروان قال: حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال: حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث: إن الله ينزل فى الليل إلى سماء الدنيا؟ فقال مالك: يتنزل أمره!

وقد يحتمل أن يكون كما قال مالك - رحمه الله- على معنى أنه تتنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره ، أى أكثر ما يكون ذلك فى ذلك الوقت ، والله أعلم.

ولذلك ما جاء فيه الترغيب فى الدعاء ، وقد روى من حديث أبى ذر أنه قال: يا رسول الله ، أى الليل أسمع؟ قال: جوف الليل الغابر ، يعنى الآخر ، وهذا على معنى ما ذكرنا ويكون ذلك الوقت مندوبا فيه إلى الدعاء كما ندب إلى الدعاء عند الزوال ، وعند النداء ، وعند نزول غيث السماء ، وما كان مثله من الساعات المستجاب فيها الدعاء ، والله أعلم.

وقال آخرون: ينزل بذاته.

أخبرنا أحمد بن عبد الله أن أباه أخبره قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح بمصر قال: سمعت نعيم بن حماد يقول: حديث النزول يرد على الجهمية قولهم قال: وقال نعيم: ينزل بذاته وهو على كرسيه.

قال أبو عمر: ليس هذا بشىء عند أهل الفهم من أهل السنة ؛ لأن هذا كيفية وهم يفزعون منها ؛ لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عيانا ، وقد جل الله وتعالى عن ذلك وما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر ، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به فى كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ فلا نتعدى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير ، فإنه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

قال أبو عمر:

أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة ، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ، وهم أئمة الجماعة ، والحمد لله.

روى حرملة بن يحيى قال: سمعت عبدالله بن وهب يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة:٦٤] ، وأشار بيده إلى عنقه ، ومثل قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] فأشار إلى عينيه أو أذنه أو شيئا من بدنه قطع ذلك منه ؛ لأنه شبه الله بنفسه.

ثم قال مالك: أما سمعت قول البراء حين حدث أن النبي ﷺ قال: لا يضحى بأربع من الضحايا ، وأشار البراء بيده كما أشار النبي ﷺ

بيده ، قال البراء: ويدى أقصر من يد رسول الله ﷺ[١] ، فكره البراء أن يصف رسول الله ﷺ إجلالا له ، وهو مخلوق ، فكيف الخالق الذى ليس كمثله شيء!.

أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هارون ابن معروف ، حدثنا سفيان عن هشام بن عروة ، عن أبيه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله**))[٢].

وأخبرنا عبد الله ، حدثنا محمد ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن

---

(١) موطأ مالك٢/ ٤٨٢(١٠٢٤) كتاب الضحايا ، باب ما ينهى عنه من الضحايا ، مسند أحمد (٤/ ٣٠٠) وفيه [قال ويده أطول من يدى أو قال يدي أقصر من يده] والبيهقي في سننه (٩/ ٢٧٤)كتاب الضحايا ، باب ما ورد النهي عن التضحية ، والطحاوى فى شرح معاني الآثار (٤/ ١٦٨) فى كتاب الصيد والذبائح والأضاحي ، باب العيوب التي لا يجوز الهدايا والضحايا إذا كانت بها.

(٢) مسلم (١٣٤) وأبو داود (٤٧٢١) ، والبخارى ٦/ ٢٦٦٠(٦٨٦٦) عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: (**لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله**).

عمرو ، حدثنا سلمة بن الفضل ، حدثنى محمد بن إسحاق قال: حدثنى عتبة بن مسلم ، مولى بنى تميم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكر نحوه قال: فإذا قالوا ذلك ، فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم(١).

وروى عن محمد بن الحنفية أنه قال: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس فى ربهم(٢)، وقد روى ذلك مرفوعا عن النبى ﷺ(٣).

---

(١) أبو داود(٤٧٢٢) والبيهقي فى السنن ٦/ ١٦٩(١٠٤٩٥)، والسنة لابن أبي عاصم١/ ٢٩٤(٦٥٣).

(٢) الطبقات الكبرى (٥/ ١١٣) [أخبرنا الفضل بن دكين قال: أخبرنا سفيان قال: قال محمد بن الحنفية: لا تذهب الدنيا حتى تكون خصومات الناس فى ربهم].

(٣) اعتقاد أهل السنة ١/ ١٢١(١٩٦) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: سمعت عبد الله ابن مسعود يقول: إياكم وما يحدث الناس من البدع ، فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعا حتى يخرج الإيمان من قلبه ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه فى الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون فى ربهم - عز وجل- فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين قال يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحدا من أهل البدع.

وقال سحنون: من العلم بالله الجهل بما لم يخبر به عن نفسه.

وهذا الكلام أخذه سحنون عن ابن الماجشون قال: أخبرني الثقة عن الثقة ، عن الحسن بن أبى الحسن قال: لقد تكلم مطرف بن عبد الله بن الشخير على هذه الأعواد بكلام ما قيل قبله ولا يقال بعده! قالوا: وما هو يا أبا سعيد؟ قال: قال: الحمد لله الذى من الإيمان به الجهل بغير ما وصف من نفسه.

أخبرنا أحمد بن محمد قال: حدثنا الحسن بن سلمة قال: حدثنا ابن الجارود قال: حدثنا سحنون بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: ينزل ربنا - تبارك وتعالى- كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ ويرى أهل الجنة ربهم؟ وبحديث: لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم على صورته[1]؟

---

(١) مسلم فى البر والصلة والآداب ، باب النهى عن ضرب الوجه(٢٦١٢) عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ : (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) وابن حبان فى صحيحه ١٣/ ١٨(٥٧١٠) كتاب الحظر والإباحة ، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره ، ذكر الزجر عن قول المرء لأخيه قبح الله وجهك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته) ، قال أبو حاتم يريد به على صورة الذى قيل له قبح الله=

= وجهك من ولده والدليل على أن الخطاب لبني آدم دون غيرهم قوله ﷺ ووجه من أشبه وجهك ؛ لأن وجه آدم فى الصورة تشبه صورة ولده.

وبرقم(٦١٦٢)١٤/ ٣٣كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق ، ذكر وصف طول آدم حيث خلقه الله - جل وعلا- عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ (خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا فلما خلقه قال: سلم على أولئك النفر وهم من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك قال: فذهب فقال: السلام عليكم ورحمة الله قال: فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) قال أبو حاتم: هذا الخبر تعلق به من لم يحكم صناعة العلم وأخذ يشنع على أهل الحديث الذين ينتحلون السنن ويذبون عنها ويقمعون من خالفها بأن قال ليست تخلو هذه الهاء من أن تنسب إلى الله أو إلى آدم فإن نسبت إلى الله كان ذلك كفرا إذ ليس كمثله شيء وإن نسبت إلى آدم تعرى الخبر عن الفائدة ؛ لأنه لا شك أن كل شيء خلق على صورته لا على صورة غيره ولو تملق قائل هذا إلى بارئه فى الخلوة وسأله التوفيق لإصابة الحق والهداية للطريق المستقيم فى لزوم سنة النبي ﷺ لكان أولى به من القدح فى منتحلي السنن بما يجهل معناه وليس جهل الإنسان بالشيء دالا على نفي الحق عنه لجهله به ونحن نقول: إن سنة النبي ﷺ إذا صحت من جهة النقل لا تتضاد ولا تتهاتر ولا تنسخ القرآن بل لكل خبر معنى معلوم يعلم وفصل صحيح يعقل يعقله العالمون ، فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ خلق الله آدم على صورته إبانة فضل آدم على سائر الخلق والهاء راجعة إلى آدم والفائدة من رجوع الهاء إلى آدم دون إضافتها إلى البارى - جل وعلا- جل ربنا وتعالى عن أن يشبه بشيء من المخلوقين أنه جل وعلا=

= جعل سبب الخلق الذى هو المتحرك النامي بذاته اجتماع الذكر والأنثى ثم زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثى ثم تغير ذلك إلى العلقة بعد مدة ثم إلى المضغة ثم إلى الصورة ثم إلى الوقت الممدود فيه ثم الخروج من قراره ثم الرضاع ثم الفطام ثم المراتب الأخر على حسب ما ذكرنا إلى حلول المنية به هذا وصف المتحرك النامي بذاته من خلقه، وخلق الله - جل وعلا- آدم على صورته التي خلقه عليها وطوله ستون ذراعا أن تكون تقدمه اجتماع الذكر والأنثى أو زوال الماء أو قراره أو تغيير الماء علقة أو مضغة أو تجسيمه بعده فأبان الله بهذا فضله على سائر من ذكرنا من خلقه بأنه لم يكن نطفة فعلقة ولا علقة فمضغة ولا مضغة فرضيعا ولا رضيعا ففطيما ولا فطيما فشابا كما كانت هذه حالة غيره ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حشوية يروون ما لا يعقلون ويحتجون بما لا يدرون.ا.هـ وأورد الهيثمي فى مجمع الزوائد(٨/ ١٠٦) رواية (على صورة الرحمن) [عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تبارك وتعالى) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير إسحق بن إسماعيل الطالقاني وهو ثقة وفيه ضعف]، وفى المعجم الكبير١٢/ ٤٣٠ (١٣٥٨٠)حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن بن عمر قال:قال رسول الله ﷺ :(لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن تعالى). وفى مسند الحارث (زوائد الهيثمي)٢/ ٨٣١(٨٧٢) كتاب الأدب ، باب النهي عن تقبيح الوجه حدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء ابن أبي رباح عن بن عمر عن النبي ﷺ قال: (لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن).

واشتكت النار إلى ربها حتى يضع الله فيها قدمه[1] ؟

وأن موسى - عليه السلام- لطم ملك الموت صلوات الله عليه[2]؟

قال أحمد: كل هذا صحيح ، وقال إسحاق: كل هذا صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأى.

قال أبو عمر: الذى عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر فى هذه المسألة وما أشبهها الإيمان بما جاء عن النبى ﷺ فيها والتصديق بذلك

---

(١) البخارى (٦٢٨٤) فى كتاب الأيمان والنذور ، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته عن أنس بن مالك قال النبى ﷺ : (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض) رواه شعبة عن قتادة ، ومسلم (٢٨٤٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) مسلم (٢٣٧٢) وفى البخارى(٣/ ١٢٥٠) الأنبياء ، باب وفاة موسى (٣٢٢٦) عن أبي هريرة ﷺ قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال: أى رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن قال فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر).

وترك التحديد والكيفية فى شىء منه.

أخبرنا أبو القاسم خلف بن القاسم قال: حدثنا عبد الله بن جعفر ابن الورد قال: حدثنا أحمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم ، عن أحمد بن نصر أنه سأل سفيان بن عيينة قال: حديث عبد الله: إن الله - عز وجل- يجعل السماء على إصبع(١)؟

وحديث: إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن؟(٢).

---

(١) البخارى (٦٩٧٨و٧٠١٣و٧٠٧٥)ومسلم(٢٧٨٦) عن عبد الله ابن مسعود.

(٢) مسلم فى القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٢٦٥٤) والحاكم في المستدرك ١/ ٧٠٦(١٩٢٦) عن النواس بن سمعان الكلابي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه وكان رسول الله ﷺ يقول : اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة) ، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك وبرقم(٣١٤٠) ٢/ ٣١٧عن جابر: (كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك قلنا يا رسول الله تخاف علينا وقد آمنا بك فقال: إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقول به هكذا) ، ومسلم حديث عبد الله بن عمرو فى قلوب بني آدم وبرقم (٣١٤١) عن النواس بن سمعان.

وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق[(١)]؟ وأنه - عز

(١) صفة العجب والضحك ثابتة لله تعالى فى أحاديث كثيرة ومنها:في البخاري ٣/ ١٣٨٢(٣٥٨٧) فضائل الصحابة،باب قول الله:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر:٩] ، ومسلم٣/ ١٦٢٤(٢٠٥٤) في الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال:إني مجهود؟ فأرسل إلى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء! ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، فقال: من يضيف هذا الليلة - رحمه الله- فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء قالت لا إلا قوت صبياني قال فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال:(قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة) ، وصفة الضحك كما في البخارى ٦/ ٢٧٠٣(٧٠٠٠) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢،٢٣] مسلم ١/ ١٦٦(١٨٢) كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية، عن أبي هريرة، حديث آخر الناس دخولا الجنة -وفيه (فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة....) والحديث الآخر فى البخارى٣/ ١٠٤٠(٢٦٧١) في الجهاد والسير ، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل،ومسلم٣/ ١٥٠٤(١٨٩٠)كتاب الإمارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال:(يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد).

وجل- ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة؟ ونحو هذه الأحاديث؟

فقال: هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف.

قال أبو داود: وحدثنا الحسن بن محمد قال: سمعت الهيثم بن خارجة قال: حدثنى الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعى وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى جاءت فى الصفات؟ فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وذكر عباس الدورى قال: سمعت يحيى بن معين يقول: شهدت زكريا بن عدى سأل وكيع بن الجراح فقال: يا أبا سفيان هذه الأحاديث ، يعنى مثل الكرسى موضع القدمين[1] ، ونحو هذا؟ فقال: أدركت إسماعيل بن أبى خالد وسفيان ومسعرا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئا.

قال عباس بن محمد الدورى: وسمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر له عن رجل من أهل السنة أنه كان يقول هذه الأحاديث التى تروى فى الرؤية والكرسى موضع القدمين وضحك ربنا من قنوط عباده ، وأن جهنم لتمتلئ وأشباه هذه الأحاديث ، وقالوا: إن فلانا يقول: يقع فى قلوبنا أن هذه الأحاديث حق!

---

(١) المستدرك ٢/ ٣١٠ (٣١١٦) عن ابن عباس قال : (الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره) ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فقال: ضعفتم عندى أمره ، هذه الأحاديث حق لا شك فيها رواها الثقات بعضهم عن بعض ، إلا أنا إذا سئلنا عن تفسير هذه الأحاديث لم نفسرها ولم نذكر أحدا يفسرها.

وقد كان مالك ينكر على من حدث بمثل هذه الأحاديث ذكره أصبغ وعيسى عن ابن القاسم قال: سألت مالكا عمن يحدث الحديث: إن الله خلق آدم على صورته؟ والحديث: إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة[١]؟ وأنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد[٢]؟

---

(١) البخارى٤/ ١٨٧١في التفسير ، باب يوم يكشف عن ساق(٤٦٣٥) عن أبي سعيد قال سمعت النبي ﷺ يقول: (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا).

(٢) مسلم ١/ ١٧٠(١٨٣) عن أبي سعيد الخدرى وفيه (....فيقول الله - عز وجل- شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة....) وأخرجه الحاكم بأتم منه فى المستدرك ٤/ ٦٢٦(٨٧٣٦) عن أبي سعيد الخدري قال: [هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة على حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة مختصرا وأخرج مسلم وحده حديث عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد بأقل من نصف هذه السياقة].

فأنكر ذلك إنكارا شديدا ، ونهى أن يحدث به أحـدا ، وإنمـا كـره ذلك مالك خشية الخوض فى التشبيه بكيف هاهنا.

وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن محمد بن على قال: حدثنى أبـى قـال: حدثنا أحمد بن خالد قال: سمعت ابن وضاح ، سألت يحيى بـن معـين عن التنزل؟ فقال: أقر به ولا تحد فيه بقول ، كل من لقيـت مـن أهـل السنة يصدق بحديث التنزل.

قال: وقال لى ابن معين :صدق به ولا تصفه.

وحدثنا أحمد بن سعيد بن بشر قال: حدثنا ابن أبى دليم قال: حدثنا ابن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن التنزل؟ فقـال: أقـر بـه ولا تحد فيه.

وأخبرنا محمد بن عبد الملك قال: حدثنا عبد الله بن يونس قال: حدثنا بقى بن مخلد قال: حدثنا بكار بن عبد الله القرشى قال: حدثنا مهدى بن جعفر ، عن مالك بن أنس أنه سأله عن قول الله - عز وجل:﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه: ٥] ، كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك ثم قال: استواؤه مجهول ، والفعل منه غير معقول ، والمسألة عن هذا بدعة.

قال بقى: وحدثنا أيوب بن صلاح المخزومى بالرملة قال: كنا عند مالك إذ جاءه عراقى فقال له: يا أبا عبد الله ، مسألة أريد أن أسألك عنها ، فطأطأ مالك رأسه فقال له: يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى ، كيف استوى؟

قال: سألت عن غير مجهول ، وتكلمت فى غير معقول ، إنك امرؤ سوء ، أخرجوه فأخذوا بضبعيه فأخرجوه.

وقال يحيى بن إبراهيم بن مزين: إنما كره مالك أن يتحدث بتلك الأحاديث ؛ لأن فيها حدا وصفة وتشبيها ، والنجاة فى هذا الانتهاء إلى ما قال الله – عز وجل– ووصف به نفسه بوجه ويدين وبسط واستواء وكلام ، فقال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [البقرة:١١٥].

وقال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤].

وقال:﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾ [الزمر:٦٧].

وقال: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه:٥].

فليقل قائل بما قال الله ، ولينته إليه ولا يعدوه ولا يفسره ولا يقل

كيف ، فإن فى ذلك الهلاك ؛ لأن الله كلف عبيده الإيمان بالتنزيل ، ولم يكلفهم الخوض فى التأويل الذى لا يعلمه غيره. وقد بلغنى عن ابن القاسم أنه لم ير بأسا برواية الحديث أن الله ضحك ؛ وذلك لأن الضحك من الله والتنزل والملالة(١) والتعجب منه ليس على جهة ما

---

(١) البخاري ١/ ٢٤(٤٣) كتاب الإيمان ، باب أحب الدين إلى الله أدومه عن عائشة (أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها قال مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه) . ومسلم ١/ ٥٤٢ (٧٨٥) بنفس اللفظ وفي رواية أخرى بلفظ (....فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا)

والمرأة التي عند عائشة هي الحولاء بنت تويت امرأة من بني أسد.

وفى لسان العرب لابن منظور ١١/ ٦٢٩[وفى الحديث أكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا معناه إن الله لا يمل أبدا مللتم أو لم تملوا فجرى مجرى قولهم حتى يشيب الغراب ويبيض القار ، وقيل: معناه إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في الرغبة إليه فسمى الفعلين مللا وكلاهما ليس بملل كعادة العرب في وضع الفعل موضع الفعل إذا وافق معناه نحو قولهم ، ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال فجعل إهلاكه إياهم لعبا وقيل معناه إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فسمي فعل الله مللا على طريق الازدواج في الكلام كقوله تعالى:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠] ، وقوله: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) ، وهذا باب واسع في العربية كثير من القرآن....]

يكون من عباده.

قال أبو عمر: الذى أقول أنه من نظر إلى إسلام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وسعد وعبد الرحمن ، وسائر المهاجرين والأنصار ، وجميع الوفود الذين دخلوا فى دين الله أفواجا ، علم أن الله - عز وجل- لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين بأعلام النبوة ودلائل الرسالة ، لا من قبل حركة ولا من باب الكل والبعض ، ولا من باب كان ويكون ، ولو كان النظر فى الحركة والسكون عليهم واجبا وفى الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه ، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم ولا أطنب فى مدحهم وتعظيمهم ولو كان ذلك من عملهم مشهورا ، أو من أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم ، ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات.

وقول رسول الله ﷺ: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا عندهم ، مثل قول الله عز وجل:﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف:١٤٣] ومثل قوله:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] ، كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجىء بلا كيف لا يقولون: كيف يجىء وكيف يتجلى وكيف ينزل ، ولا من أين جاء ولا من أين تجلى ، ولا من أين

ينزل ؛ لأنه ليس كشيء من خلقه وتعالى عن الأشياء ولا شريك له.

وفى قول الله - عز وجل- فلما تجلى ربه للجبل ، دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليا للجبل ، وفى ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

ومن أراد أن يقف على أقاويل العلماء فى قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف:١٤٣] ، فلينظر فى تفسير بقى بن مخلد ، ومحمد بن جرير ، وليقف على ما ذكرا من ذاك ؛ ففيما ذكرا منه كفاية ، وبالله العصمة والتوفيق.

وفى قول الله عز وجل:﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، دلالة واضحة لمن أراد الله هداه أنه يرى إذا شاء ، ولم يشأ ذلك فى الدنيا بقوله:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] ، وقد شاء ذلك فى الجنة بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣] ، ولو كان لا يراه أهل الجنة لما قال: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ، وفى هذا بيان أنه لا يرى

في الدنيا ؛ لأن أبصار الخلائق لم تعط فى الدنيا تلك القوة.

والدليل على أنه ممكن أن يرى فى الآخرة بشرطه فى الرؤية ما يمكن من استقرار الجبل ، ولا يستحيل وقوعه ولو كان محالا كون الرؤية لقيدها بما يستحيل وجوده كما فعل بدخول الكافرين الجنة قيد قبل ذلك بما يستحيل من دخول الجمل سم الخياط.

ولا يشك مسلم أن موسى كان عارفا بربه ، وما يجوز عليه فلو كان عنده مستحيلا لم يسأله ذلك ، ولكان بسؤاله إياه كافرا! كما لو سأله أن يتخذ شريكا أو صاحبة.

وإذا امتنع أن يرى فى الدنيا بما ذكرنا لم يكن لقوله: إلى ربها ناظرة وجه ، إلا النظر إليه فى القيامة على ما جاء فى الآثار الصحاح عن النبى ﷺ وأصحابه وأهل اللسان ، وجعل الله - عز وجل- الرؤية لأوليائه يوم القيامة ومنعها من أعدائه.

ألم تسمع إلى قوله عز وجل:﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [المطففين:١٥] ، وإنما يحتجب الله عن أعدائه المكذبين ويتجلى لأوليائه المؤمنين ، وهذا معنى قول مالك فى تفسير هذه الآية.

وأما قوله فى تأويل قول الله - عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ إن أشهب روى عن مالك أنه سمعه وسئل عن قول الله - تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال: ينظرون إلى الله - عز وجل ، قال موسى: رب أرنى أنظر إليك.

وعلى هذا التأويل فى هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأى.

ذكر أسد بن موسى قال: حدثنا جرير عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط فى قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة ، قال:من النعمة ، إلى ربها ناظرة ، قال: تنظر إلى الله.

قال: وحدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب ، عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر وكان فى دعائه: اللهم إنى أسألك النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك ، وقد جاء أن موسى قال له ربه: حينئذ لن ترانى عين إلا ماتت ، إنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم.

وجاء عن الحسن أنه قال لما كلم موسى ربه: دخل قلبه من السرور بكلامه ما لم يدخل قلبه مثله فدعته نفسه إلى أن يريه نفسه.

وعن قتادة وأبى بكر بن أبى شيبة وجماعة مثل ذلك.

وذكر سنيد عن حجاج ، عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله: ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ، قال: أول من آمن بك أنه لا يراك أحد إلا يوم القيامة ، ولو كان فيها عهد إلى موسى قبل ذلك أنه لا يرى لم يسأل ربه ما يعلم أنه لا يعطيه إياه ، ولو كان ذلك عنده غير ممكن لما سأله ما لا يمكن عنده.

وأهل البدع المخالفون لنا فى هذا التأويل يقولون: إن من جوز مثل هذا وأمكن عنده فقد كفر فيلزمهم تكفير موسى نبى الله ﷺ وكفى بتكفيره كفرا وجهلا.

حدثنا محمد بن عبد الملك قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد الأعرابى قال: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس ابن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه

كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، وذكر الحديث[(١)].

قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه- ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] ، قال: الجنة ، وزيادة ، قال: هو النظر إلى وجه الله - عز وجل[(٢)].

ورواه الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد ، عن سعيد ابن يمان ، عن أبى بكر الصديق مثله.

---

(١) مسلم (١/ ٤٤٠) برقم (٦٣٣) ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٦٣(١٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، ولفظه عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) ورقم (١٨١) ولفظه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله - تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل).

وحدثنا إبراهيم بن شاكر قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان قال: حدثنا سعيد بن جبير وسعيد بن عثمان قالا: حدثنا أحمد بن عبد الله بن صالح قال: حدثنا يزيد بن هارون ، وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ قال: حدثنا عفان ، وحدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا إبرهيم بن عبد الرحمن قال: حدثنا عفان بن مسلم وعبيد الله بن عائشة قالوا: حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبى على ، عن صهيب عن النبى ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار نادى مناد ، يا أهل الجنة ، لكم عند الله موعد ، يريد أن ينجزكموه! فيقولون: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ، ويثقل موازيننا ، ويجرنا من النار ويدخلنا الجنة! فيكشف الحجاب فينظرون إليه - وقال إبراهيم: وقال الآخر: فينظرون إلى الله تعالى - قال: فو الله ما أعطاهم الله شيئا أقر لأعينهم ولا أحب إليه من النظر إليه ، ثم تلا هذه الآية:﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1] [يونس: ٢٦] .

واللفظ لحديث عبد الوارث ، والآثار فى هذا المعنى كثيرة جدا.

---

(١) سبق تخريجه ، وهو عند مسلم وغيره.

فإن قيل: فقد روى سفيان الثورى ، عن منصور عن مجاهد فى قول الله عز وجل:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، قال حسنة: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، قال: تنظر الثواب ، ذكره وكيع وغيره عن سفيان؟

فالجواب: أنا لم ندع الإجماع فى هذه المسألة ولو كانت إجماعا ما احتجنا فيها إلى قول ، ولكن قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبى ﷺ ، وأقاويل الصحابة ، وجمهور السلف وهو قول عند أهل السنة مهجور ، والذى عليه جماعتهم ما ثبت فى ذلك عن نبيهم ﷺ ، وليس من العلماء أحد إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

ومجاهد وإن كان أحد المقدمين فى العلم بتأويل القرآن ، فإن له قولين فى تأويل اثنين هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما.

أحدهما هذا ، والآخر قوله فى قول الله - عز وجل:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٩].

حدثنا أحمد بن عبد الله ، حدثنا أبو أمية الطرسوسى ، حدثنا عثمان ابن أبى شيبة ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن ليث عن مجاهد ، عسى أن يبعثك ربك مقاما ، قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه.

وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم.

فالذى عليه العلماء فى تأويل هذه الآية ، أن المقام المحمود الشفاعة.

والكلام فى هذه المسألة من جهة النظر يطول وله موضع غير كتابنا هذا ، وبالله التوفيق.

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أحمد ابن زهير ، حدثنا القاسم بن خارجة قال: حدثنا الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعى ، وسفيان الثورى ومالك بن أنس ، وليث بن سعد غير مرة عن الأحاديث التى فيها ذكر الرؤية فقال: أمروها كيف جاءت بلا كيف.

وفى هذا الحديث أيضا دليل على غفران الذنوب وإجابة الدعوة ، ودليل على أن من أجزاء الليل وقتا يجاب فيه الدعاء ولكن من مقدار ثلث الليل الآخر ، وقد قيل من مقدار نصف الليل إلى آخره ، وكل هذا قد روى فى أحاديث صحاح.

ولم يزل الصالحون يرغبون فى الدعاء والاستغفار بالأسحار لهذا الحديث ؛ ولقوله عز وجل:﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

[آل عمران:١٧].

حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الحسن بن إسماعيل قال: حدثنا عبدالملك بن بحر قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا سنيد بن داود قال: حدثنا هشيم قال: أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن محارب بن دثار عن عمه قال: كنت آتي المسجد في السحر فأمر بدار ابن مسعود فأسمعه يقول: اللهم إنك أمرتني فأطعت ودعوتني فأجبت ، وهذا سحر فاغفر لي.

فلقيت ابن مسعود فقلت له : قلت كلمات أسمعك تقولهن في السحر فقال: إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر.

وعن أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن الفضل قال: حدثنا محمد ابن جرير قال: حدثنا مسلمة بن جنادة السدى قال: حدثنا ابن إدريس قال: سمعت عبدالرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال: كان عمي يأتي المسجد فيسمع أنسا يقول: اللهم دعوتني فأجبت ، وأمرتني فأطعت ، وهذا سحر فاغفر لي.

قال: فأستمع الصوت ، فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود ، فسأل عبد الله عن ذلك ، فقال: إن يعقوب - عليه السلام- أخر بنيه إلى السحر بقوله: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ [يوسف:٩٨].

وروى حماد بن سلمة عن الجريرى أن داود - عليه السلام- سأل جبريل فقال: أى الليل أسمع؟ قال: لا أدرى غير أن العرش يهتز فى السحر.

تم بحمد الله - تعالى- شرح ابن عبد البر لحديث أبى هريرة - رضى الله عنه- فى نزول الرب - تبارك وتعالى- إذا كان الثلث الآخر من الليل.

ولم يكتمل بعد تعليقى عليه ، ولكن تعجلت إخراجه بمناسبة الملتقى الدعوى الحادى عشر للجنة الدعوة فى إفريقيا ، والذى ابتدأ برامجه فى الرياض يوم الثلاثاء ١٤/ ٩/ ١٤٢٣هـ ، ولعلى ألحق به شرح ابن عبد البر للأحاديث الأخرى التى لها تعلق ، أو غيرها من الفوائد التى يحتاجها طلبة العلم ، وخاصة ممن لاتتوافر لديهم المراجع والكتب فى إفريقيا وشرق آسيا وغيرها ولعله يكتمل قريبا إن شاء الله تعالى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو عبدالله عبدالمحسن بن عبدالله الزكرى

ديوان المظالم بالرياض الرمز البريدى ١١١٣٨

ناسوخ ٢٦٠٤٧٧٤

وأرفق لك أخى طالب العلم والحق جوابا لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- عن صفة الاستواء ، علما أن لشيخ الإسلام شرحا لحديث الاستواء ، وهو فى مجموع الفتاوى[1] أسهب فيه ، ولكن لم أشأ أن أطيل هذه الرسالة.

*** سئل شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - قدس الله روحه- عن علو الله - تعالى- واستوائه على عرشه؟**

فأجاب بقوله[2]: « قد وصف الله - تعالى- نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بالعلو والاستواء على العرش ، والفوقية فى كتابه فى آيات كثيرة ، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعى فى القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله - تعالى- عال على الخلق ، وأنه فوق عباده ، وقال غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ، وقوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ [الأنبياء: ١٩] ، فلو كان المراد بأن معنى عنده فى قدرته كما يقول الجهمى لكان الخلق كلهم عنده ، فإنهم كلهم فى قدرته ومشيئته ، ولم يكن فرق بين من فى السموات ومن فى الأرض ومن عنده.

---

(١) مجموع الفتاوى ، المجلد الخامس من صفحة ٣٢١ ، حتى صفحة ٥٨٥.

(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/ ١٢١.

كما أن الاستواء على العرش لو كان المراد به الاستيلاء عليه لكان مستويا على جميع المخلوقات ، ولكان مستويا على العرش قبل أن يخلقه دائما!

والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض ، كما أخبر بذلك في كتابه ، فدل على أنه تارة كان مستويا عليه وتارة لم يكن مستويا عليه.

ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل والشرع عند الأئمة المثبتة.

وأما الاستواء على العرش ، فمن الصفات المعلومة بالسمع فقط دون العقل ، والمقصود أنه – تعالى- وصف نفسه بالمعية ، وبالقرب.

والمعية معيتان: عامة وخاصة.

فالأولى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

والثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨].

إلى غير ذلك من الآيات.

وأما القرب ، فهو كقوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة: ٨٥].

وافترق الناس فى هذا المقام أربع فرق:

فالجهمية النفاة[1] - الذين يقولون: لا هو داخل العالم ولا خارج العالم ، ولا فوق ولا تحت - لا يقولون بعلوه ولا بفوقيته بل الجميع عندهم متأول أو مفوض.

وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص -كالخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة وغيرهم - إلا الجهمية ، فإنه ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفى ، ولهذا قال ابن المبارك ويوسف بن أسباط: الجهمية خارجون عن الثلاث وسبعين فرقة.

وهذا أعدل الوجهين لأصحاب أحمد ، ذكرهما أبو عبد الله ابن حامد وغيره.

وقسم ثان: يقولون: إنه بذاته فى كل مكان كما يقول ذلك النجارية[2] ، وكثير من الجهمية- عبادهم وصوفيتهم وعوامهم- ويقولون: إنه عين وجود المخلوقات كما يقوله أهل الوحدة القائلون بأن

---

(١) الفرقة الأولى ، أو القسم الأول.

(٢) الحسينية وهم النجارية أتباع حسين النجار ، وافقوا المعتزلة بالقول: إن القرآن مخلوق وقول حلولية الجهمية الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان.

الوجود واحد ، ومن يكون قوله مركبا من الحلول والاتحاد ، وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب ، ويتأولون نصوص العلو والاستواء ، وكل نص يحتجون به حجة عليهم ، فإن المعية أكثرها خاصة بأنبيائه وأوليائه ، وعندهم أنه فى كل مكان وفى نصوصهم ما يبين نقيض قولهم فإنه قال: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ [الحديد: ١].

فكل من فى السموات والأرض يسبح ، والمسبح غير المسبح وقال: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ [الحديد: ٢].

فبين أن الملك له ، ثم قال:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد: ٣].

وفى الصحيح: (أنت الأول فليس قبلك شىء ....)(١).

---

(١) مسلم(٢٧١٣)عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقة الأيمن ثم يقول: (اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر) ، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .

فإذا كان هو الأول ، كان هناك ما يكون بعده ، وإذا كان آخرا كان هناك ما الرب بعده ، وإذا كان ظاهرا ليس فوقه شيء كان هناك ما الرب ظاهر عليه ، وإذا كان باطنا ليس دونه شيء كان هناك أشياء نفا عنها أن تكون دونه.

ولهذا قال ابن عربي[1]: من أسمائه الحسنى العلى على من يكون

---

(١) من الضلال القائلين بوحدة الوجود ، كفره جمع من العلماء كما حكاه ابن القيم في نونيته ، ونقله شيخ الإسلام في فتاواه عن العلماء ، وهو غير الإمام أبو بكر بن العربي المحدث الفقيه المالكي شارح الموطأ في كتابه القبس وشارح الترمذي في عارضة الأحوذي ، وله كتاب أحكام القرآن وكتب كثيرة مشهورة .

ترجم له الذهبي في لسان الميزان (٥/ ٣١١) برقم(١٠٣٨) [محمد بن علي ابن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ، صاحب كتاب فصوص الحكم مات سنة ثمان وثلاثين وست مائة.... ونقل رفيقنا أبو الفتح اليعمري وكان متثبتا قال: سمعت الإمام تقي الدين بن دقيق العيد يقول: سمعت شيخنا أبا محمد بن عبد السلام السلمي يقول: وجرى ذكر أبي عبد الله بن العربي الطائي فقال: هو شيخ سوء شيعي كذاب فقلت له: وكذاب أيضا قال: نعم تذاكرنا بدمشق التزويج بالجن فقال: هذا محال ؛ لأن الإنس جسم كثيف والجن روح لطيف ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف ثم بعد قليل رأيته وبه شجة فقال تزوجت جنية فرزقت منها ثلاثة أولاد فاتفق يوما أني أغضبتها فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة وانصرفت فلم أرها بعد هذا أو معناه ، قلت=

عليا ، وما ثم إلا هو وعن ماذا يكون عليا وما هو إلا هو فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هى العليـة

= نقله لي بحروفه بن رافع من خط أبي الفتح: وما عندى أن محيي الدين تعمد كذبا لكن أثرت فيه تلك الخلوات والجوع فسادا وخيالا وطرف جنون وصنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة فقال أشياء منكرة عدها طائفة من العلماء مروقا وزندقة، وعدها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين، وعدها طائفة من متشابه القول وأن ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان ، وأنه صحيح في نفسه كبير القدر ، وآخرون يقولون: قد قال هذا الباطل والضلال فمن الذي قال أنه مات عليه فالظاهر عندهم من حاله انه رجع وتاب إلى الله فإنه كان عالما بالآثار والسنن قوي المشاركة في العلوم، وقولي أنا فيه انه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جنابه عند الموت وختم لهم بالحسنى ، فأما كلامه فمن فهمه وعرضه على قواعد الاتحادية وعلم محط القوم وجمع بين أطراف عباراتهم تبين له الحق في خلاف قولهم ، وكذلك من أمعن النظر في فصوص الحكم وأنعم التأمل لاح له العجب فإن الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوال والنظائر والأشباه ، فهو يعلم بأنه أحد رجلين إما من الاتحادية في الباطن ، وإما من المؤمنين بالله الذي يعدون أن هذه النحلة من أكفر الكفر ، نسأل الله العافية وأن يكتب الإيقان في قلوبنا وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فوالله لأن يعيش المسلم جاهلا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئا سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ويؤمن بالله واليوم الآخر خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق ولو قرأ مائة كتاب أو عمل مائة خلوة انتهى....].

هى لذاتها وليست إلا هو.

قال الخراز[1]: وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه: بأن الله يعرف بجمعه بين الأضداد ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره ، وما ثم من تراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه سواه ، فهو ظاهر لنفسه وهو باطن عن نفسه ، وهو المسمى أبو سعيد الخراز ا.هـ.

والمعية لا تدل على الممازجة والمخالطة ، وكذلك لفظ القرب ، فإن القرب عند الحلولية أنه فى حبل الوريد كما هو عندهم فى سائر الأعيان ، وكل هذا كفر وجهل بالقرآن.

الثالث: قول من يقول هو فوق العرش ، وهو فى كل مكان ويقول: أنا أقر بهذه النصوص ، وهذه لا أصرف واحدا منها عن

---

(١) من الضلال القائلين بوحدة الوجود كابن عربي ، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣ / ٤١٩) برقم(٢٠٧) قال عنه[الخراز شيخ الصوفية القدوة أبو سعيد أحمد ابن عيسى البغدادي الخراز .... قال السلمي: أنكر أهل مصر على أبي سعيد وكفروه بألفاظه فإنه قال في كتاب السر: فإذا قيل لأحدهم ما تقول قال الله وإذا تكلم قال الله ، وإذا نظر قال الله فلو تكلمت جوارحه قالت الله وأعضاؤه مملوءة من الله فأنكروا عليه هذه الألفاظ وأخرجوه من مصر قال ثم رد بعد عزيزا .... مات فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائتين] ، وانظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٧).

ظاهره ، وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعرى فى المقالات الإسلامية ، وهو موجود فى كلام طائفة من السالمية[1] والصوفية ، ويشبه هذا ما فى كلام أبى طالب المكى وابن برجان وغيرهما مع ما فى كلام أكثرهم من التناقض ؛ ولهذا كان أبو على الأهوازى الذى صنف مثالب ابن أبى بشر ، ورد على أبى القاسم بن عساكر هو من السالمية.

وكذلك ذكر الخطيب البغدادى أن جماعة أنكروا على أبى طالب بعض كلامه فى الصفات ، وهذا الصنف الثالث ، وإن كان أقرب إلى التمسك بالنصوص ، وأبعد عن مخالفتها من الصنفين الأولين ، فان الأول لم يتبع شيئا من النصوص ، بل خالفها كلها ، والثانى ترك النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليه

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧(١٩٣) [ابن سالم أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري شيخ الصوفية السالمية وابن شيخهم عمر دهرا ، وكان أبوه من تلامذة سهل بن عبد الله التستري ، ولحق هو حدث سهلا وحفظ عنه أدركه أبو سعيد النقاش ورآه أبو نعيم الحافظ وما كتب عنه شيئا ، وروى عنه أبو طالب صاحب القوت وأبو بكر بن شاذان الرازي وأبو مسلم محمد بن علي بن عوف البرجي الأصبهاني وأبو نصر عبد الله بن علي الطوسي ومنصور بن عبيد الله الصوفي وآخرون قال السلمي في تاريخ الصوفية محمد بن أحمد بن سالم أبو عبد الله البصري ، ولد أبي الحسن بن سالم روى كلام سهل .

معانيها ، وأما هذا الصنف فيقول: أنا اتبعت النصوص كلها ، لكنه غالط أيضا ، فكل من قال: إن الله بذاته فى كل مكان ، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة.

وهؤلاء يقولون أقوالا متناقضة يقولون أنه فوق العرش ، ويقولون: نصيب العرش منه كنصيب قلب العارف ، كما يذكر مثل ذلك أبو طالب وغيره ، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان ، وما يتبع ذلك.

فإن قالوا: إن العرش كذلك نقضوا قولهم أنه نفسه فوق العرش!

وإن قالوا بحلوله بذاته فى قلوب العارفين ، كان ذلك قولا بالحلول الخاص.

وقد وقع طائفة من الصوفية حتى صاحب منازل السائرين[(١)] فى

---

(١) ترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٨٣) برقم (١٠٢٨) [شيخ الإسلام الحافظ الإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب الأنصاري ولد سنة ست وتسعين وثلاث مائة.....وصنف الأربعين وكتاب الفاروق وكتاب ذم الكلام وأهله وكتاب منازل السائرين وأشياء وكان سيفا مسلولا على المخالفين وجذعا في أعين المتكلمين وطودا في السنة لا يتزلزل ، وقد امتحن مرات ، قال ابن طاهر: وسمعته=

توحيده المذكور فى آخر المنازل فى مثل هذه الحلول ؛ ولهذا كان أئمة القوم يحذرون عن مثل هذا ، سئل الجنيد عن التوحيد فقال: هو إفراد الحدوث عن القدم.

= يقول بهراة عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي ارجع عن مذهبك لكن يقال لي اسكت عمن خالفك فأقول: لا أسكت وسمعته يقول: احفظ اثني عشر ألف حديث اسردها سردا قال أبو النضر الفامي: كان إسماعيل بكر الزمان وواسطة عقد المعاني وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن منها نصرة الدين والسنة دون مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير وقد قاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت وسعوا في روحه مرارا وعمدوا إلى إهلاكه أطوارا فوقاه الله شرهم وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه قلت تخرج به خلق كثير وفسر القرآن مدة وفضائله كثيرة ورأيت أهل الاتحاد يعظمون كلامه في منازل السائرين ويدعون أنه موافقهم ذائق لوجدهم ورامز لتصوفهم الفلسفي و أنى يكون ذلك وهو.... من دعاة السنة وعصبة آثار السلف ولا ريب أن في منازل السائرين أشياء من محط المحو والفناء وإنما مراده بذلك الفناء الغيبة عن شهود السوى ولم يرد عدم السوى في الخارج وفي الجملة هذا الكتاب لون الأنموذج الذي اصفق عليه صوفية التابعين ودرج عليه نساك المحدثين ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وله قصيدة في السنة سمعناها غالبها جيد وله مجلد في مناقب الإمام أحمد ابن حنبل سمعناه من بن القواس عن سنان....وقال أبو النضر الفامي توفي أبو إسماعيل في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربع مائة وقد جاوز أربعا وثمانين سنة....].

فبين أنه لابد للموحد من التمييز بين القديم الخالق والمحدث المخلوق ، فلا يخلط أحدهما بالآخر ، وهؤلاء يقولون فى أهل المعرفة ما قالته النصارى فى المسيح والشيعة فى أئمتها.

وكثير من الحلولية والإباحية ينكر على الجنيد وأمثاله من شيوخ أهل المعرفة المتبعين للكتاب والسنة ما قالوه من نفى الحلول وما قالوه فى إثبات الأمر والنهى ، ويرى أنهم لم يكملوا معرفة الحقيقة كما كملها هو وأمثاله من الحلولية والإباحية.

الرابع: هم سلف الأمة وأئمتها أئمة أهل العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة ، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من غير تحريف للكلم عن مواضعه ، أثبتوا أن الله فوق سماواته على عرشه ، بائن من خلقه وهم بائنون منه ، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية ، وهو أيضا قريب مجيب ، ففى آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم.

وكان النبى ﷺ يقول: « **اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل.....** »[1].

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ٩٧٨) كتاب الحج ، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره برقم (١٣٤٢) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة =

فهو مع المسافر فى سفره ، ومع أهله فى وطنه ، ولا يلزم من هذا أن تكون ذاته مختلطة بذواتهم ، كما قال تعالى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح:٢٩] ، أى على الإيمان لا أن ذاته فى ذاتهم ، بل هم مصاحبون له.

وقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾[النساء: ١٤٦] ، يدل على موافقتهم فى الإيمان وموالاتهم ، فالله - تعالى- عالم بعباده ، وهو معهم أينما كانوا ، وعلمه بهم من لوازم المعية ، كما قالت المرأة: زوجى طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد ، فهذا كله حقيقة ، ومقصودها: أن تعرف لوازم ذلك وهو طول القامة ، والكرم بكثرة الطعام ، وقرب البيت من موضع الأضياف.

وفى القرآن ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[الزخرف:٨٠] ، فإنه يراد برؤيته وسمعه إثبات علمه بذلك ، وأنه يعلم هل ذلك خير أو شر فيثيب على الحسنات ، ويعاقب على السيئات ، وكذلك إثبات القدرة على الخلق كقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ [العنكبوت: ٢٢] ،وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن

= في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون).

يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤] ، والمراد: التخويف بتوابع السيئات ولوازمها من العقوبة والانتقام ، وهكذا كثير مما يصف الرب نفسه بالعلم بأعمال العباد تحذيرا وتخويفا ، ورغبة للنفوس فى الخير ، ويصف نفسه بالقدرة والسمع والرؤية والكتاب.

فمدلول اللفظ مراد منه ، وقد أريد أيضا لازم ذلك المعنى فقد أريد ما يدل عليه اللفظ فى أصل اللغة بالمطابقة والالتزام ، فليس اللفظ مستعملا فى اللازم فقط ، بل أريد به مدلوله الملزوم ، وذلك حقيقة.

وأما القرب فذكره تارة بصيغة المفرد كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وفى الحديث ((**أربعوا على أنفسكم** - إلى أن قال - **إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**))[١].

---

(١) مسلم في باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٢٧٠٤) عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ (أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال: يا عبد الله بن قيس ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة فقلت: بلى يا رسول الله ، قال: قل: لا حول ولا قوة الا بالله) وبرقم(٢٧٠٤) وفي لفظ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ، فذكر الحديث ، وقال فيه: (والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم) ، وليس في حديثه ذكر(لا حول ولا قوة إلا بالله).

وتارة بصيغة الجمع كقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦] ، وهذا مثل قوله:﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ ﴾ [القصص: ٣] ، ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ [الكهف: ١٣] و﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة: ١٧] و ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٩] ، فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل ، والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن ، ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله عز وجل.

وأما قوله: نتلو ونقص ونحوه ، فهذه الصيغة فى كلام العرب للواحد العظيم الذى له أعوان يطيعونه ، فإذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال: نحن فعلنا كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد ، وهو منا هذا الجيش ، ونحو ذلك.

ومن هذا الباب قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾[الزمر: ٤٢] فإنه — سبحانه- يتوفاها برسله الذين مقدمهم ملك الموت كما قال:﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام:٦١] ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة: ١١] ، وكذلك ذوات الملائكة تقرب من المحتضر ، وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[ق: ١٦] ، فإنه- سبحانه وتعالى- هو وملائكته يعلمون ما توسوس به نفس العبد من حسنة وسيئة والهم فى النفس قبل العمل ، فقوله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق: ١٦]

هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله ، فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد ، فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إلى بعضه من بعض ولهذا قال فى تمام الآية:﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾[ق: ١٧] ، فقوله - إذ- ظرف ، فأخبر أنهم أقرب إليه من حبل الوريد حين يتلقى المتلقيان ما يقول ، فهذا كله خبر عن الملائكة.

وقوله: ﴿ فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ،(وهو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) ، هذا إنما جاء فى الدعاء لم يذكر أنه قريب من العباد فى كل حال ، وإنما ذكر ذلك فى بعض الأحوال كما فى الحديث :((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)) ونحو ذلك ، وقوله: ((**من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة**)) فقرب الشىء من الشىء مستلزم لقرب الآخر منه ، لكن قد يكون قرب الثانى هو اللازم من قرب الأول ، ويكون منه أيضا قرب بنفسه.

فالأول كمن تقرب إلى مكة ، أو حائط الكعبة ، فكلما قرب منه قرب الآخر منه ، من غير أن يكون منه فعل.

والثانى كقرب الإنسان إلى من يتقرب هو إليه كما تقدم فى هذا الأثر الإلهى ، فتقرب العبد إلى الله وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة مثل قوله﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ، ونحو ذلك ، فهذا قرب الرب نفسه إلى عبيده ،

وهو مثل نزوله إلى سماء الدنيا.

وفى الحديث الصحيح: ((**إن الله تعالى يدنو عشية عرفة ويباهى الملائكة بأهل عرفة**)).

فهذا القرب كله خاص فى بعض الأحوال دون بعض.

وليس فى الكتاب والسنة قط قرب ذاته من جميع المخلوقات فى كل حال ، فعلم بذلك بطلان قول الحلولية ، فإنهم عمدوا إلى الخاص المقيد ، فجعلوه عاما مطلقا ، كما جعل إخوانهم الاتحادية ذلك فى مثل قوله:(كنت سمعه) ، وقوله: (فيأتيهم فى صورة غير صورته) ، وأن الله - تعالى- قال على لسان نبيه: (سمع الله لمن حمده) ، وكل هذه النصوص حجة عليهم.

فإذا تبين ذلك ، فالداعى والساجد يوجه روحه إلى الله - تعالى- والروح لها عروج يناسبها فتقرب إلى الله بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب ، فيكون الله - عز وجل- منها قريبا قربا يلزم من تقربها ، ويكون منه قرب آخر كقربه عشية عرفة وفى جوف الليل ، وإلى من تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا ، والناس فى آخر الليل يكون فى قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لا يوجد فى غير ذلك الوقت ، وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا ، وقوله: ((**هل من داع ، هل من سائل ، هل من تائب**)).

ثم إن هذا النزول هل هو كدنوه عشية عرفة لا يحصل بغير الحاج فى سائر البلاد ، إذ ليس بها وقوف مشروع ولا مباهاة الملائكة ، وكما

أن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب النار وتصفيد الشياطين إذا دخل شهر رمضان إنما هو للمسلمين الذين يصومون رمضان لا الكفار الذين لا يرون له حرمة.

وكذلك اطلاعه يوم بدر: وقوله لهم:((**اعملوا ما شئتم**)) كان مختصا بأولئك أم هو عام فيه كلام ليس هذا موضعه والكلام فى هذا القرب من جنس الكلام فى نزوله كل ليلة ودنوه عشية عرفة وتكليمه لموسى من الشجرة ، وقوله:﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [النمل: ٨] وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ما قاله السلف فى مثل ذلك ، مثل حماد ابن زيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما من أنه ينزل إلى سماء الدنيا ولا يخلو منه العرش ، وبينا أن هذا هو الصواب وإن كان طائفة ممن يدعى السنة يظن خلو العرش منه.

وقد صنف أبو القاسم عبد الرحمن بن مندة فى ذلك مصنفا وزيف قول من قال: ينزل ولا يخلو منه العرش ، وضعف ما قيل فى ذلك عن أحمد بن حنبل فى رسالته إلى مسدد وطعن فى هذه الرسالة وقال: إنها مكذوبة على أحمد ، وتكلم على راويها البردعى أحمد بن محمد ، وقال: إنه مجهول لا يعرف فى أصحاب أحمد.

وطائفة تقف لا تقول: لا يخلو وتنكر على من يقول ذلك منهم الحافظ عبد الغنى المقدسى.

وأما من يتوهم أن السموات تنفرج ثم تلتحم ، فهذا من أعظم

الجهل وإن وقع فيه طائفة من الرجال.

والصواب قول السلف: أنه ينزل ولا يخلو منه العرش وروح العبد فى بدنه لا تزال ليلا ونهارا إلى أن يموت ووقت النوم تعرج وقد تسجد تحت العرش وهى لم تفارق جسده ، وكذلك أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد وروحه فى بدنه ، وأحكام الأرواح مخالف لأحكام الأبدان ، فكيف بالملائكة فكيف برب العالمين.

والليل يختلف فيكون ثلث الليل بالمشرق قبل ثلثه بالمغرب ونزوله الذى أخبر به رسوله إلى سماء هؤلاء فى ثلث ليلهم وإلى سماء هؤلاء فى ثلث ليلهم لا يشغله شأن ، وكذلك سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل بل هو - سبحانه- يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم لا يشغله هذا عن هذا .

وقد قيل لابن عباس: كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم فى ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم فى ساعة واحدة.

والله - سبحانه- فى الدنيا يسمع دعاء الداعين ويجيب السائلين مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات ، والواحد منا قد يكون له قوة سمع يسمع كلام عدد كثير من المتكلمين ، كما أن بعض المقرئين يسمع قراءة عدة ، لكن لا يكون إلا عددا قليلا قريبا منه ويجد فى نفسه قربا ودنوا وميلا إلى بعض الناس الحاضرين والغائبين دون بعض ، ويجد تفاوت ذلك الدنو والقرب.

والرب - تعالى- واسع عليم وسع سمعه الأصوات كلها وعطاؤه الحاجات كلها.

ومن الناس من غلط ، فظن أن قربه من جنس حركة بدن الإنسان إذا مال إلى جهة ، انصرف عن الأخرى وهو يجد عمل روحه يخالف عمل بدنه فيجد نفسه تقرب من نفوس كثيرين من الناس من غير أن ينصرف قربها إلى هذا عن قربها إلى هذا.

وبالجملة ، فقرب الرب من قلوب المؤمنين وقرب قلوبهم منه أمر معروف لا يجهل ، فإن القلوب تصعد إليه على قدر ما فيها من الإيمان والمعرفة والذكر والخشية والتوكل ، وهذا متفق عليه بين الناس كلهم ، بخلاف القرب الذى قبله ، فإن هذا ينكره الجهمى الذى يقول: ليس فوق السموات رب يعبد ولا إله يصلى له ويسجد ، وهذا كفر وفند.

والأول ينكره الكلابية ومن يقول: لا تقوم الأمور الاختيارية به.

ومن اتباع الأشعرى من أصحاب أحمد وغيره من يجعل الرضا والغضب والفرح والمحبة هى الإرادة ، وتارة يجعلونها صفات أخر قديمة غير الإرادة - ثم قال بعد كلام طويل- هذا يبين أن كل من أقر بالله فعنده من الإيمان بحسب ذلك ثم من لم تقم عليه الحجة بما جاءت به الأخبار لم يكفر بجحده ، وهذا يبين أن عامة أهل الصلاة مؤمنون بالله ورسوله وإن اختلفت اعتقاداتهم فى معبودهم وصفاته ، إلا من كان منافقا يظهر الإيمان بلسانه ويبطن الكفر بالرسول ، فهذا ليس بمؤمن.

وكل من أظهر الإسلام ولم يكن منافقا ، فهو مؤمن له من الإيمان بحسب ما أوتيه من ذلك وهو ممن يخرج من النار ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، ويدخل فى هذا جميع المتنازعين فى الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم ولو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله كما يعرفه نبيه لم تدخل أمته الجنة فإنهم أو أكثرهم لا يستطيعون هذه المعرفة ، بل يدخلون الجنة وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم.

وإذا كان الرجل قد حصل له إيمان يعبد الله به وأتى آخر بأكثر من ذلك عجز عنه الأول لم يحمل ما لا يطيق ، وإن كان يحصل له بذلك فتنة لم يحدث بحديث يكون له فيه فتنة ، فهذا أصل عظيم فى تعليم الناس ومخاطبتهم والخطاب العام بالنصوص التى اشتركوا فى سماعها كالقرآن والحديث المشهور وهم مختلفون فى معنى ذلك ، والله تعالى أعلم].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى[(١)]:

[والمقصود هنا التنبيه على أن هذه مقامات دقيقة مشكلة بسببها افترقت الأمة واختلفت ، فإذا اجتهد الرجل فى متابعة الرسول والتصديق بما جاء به وأخطأ فى المواضع الدقيقة التى تشتبه على أذكياء المؤمنين غفر الله له خطاياه تحقيقا لقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقد ثبت فى الصحيح أن الله قال: قد فعلت].

---

(١) مجموع الفتاوى ، ١٢ / ١٨٨.

من أسباب الخلاف

من أسباب الاختلاف: اتباع علماء أجادوا فى باب من أبواب العلوم الشرعية ، ولكنهم لم يتقنوا علم الأثر ، أو مسائل العقيدة من كلام السلف.

ولانحراف بعض علماء الإسلام فى مسائل الأسماء والصفات وغيرها أسباب أهمها: جهلهم بالسنن النبوية والآثار السلفية ، وابتداء نشأتهم على العلوم الكلامية الفلسفية حتى أشربت بها قلوبهم فلم يستطيعوا بعد التوبة التخلص من آثار عبادة عجل الهوى والفلسفة ، ويغفر الله لمن كان صادق التوبة ، وجد فى الأوبة ، ولو أمهل لصحح وصاح بالخلق بعظيم خطئه قبل عودته لربه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)] - رحمه الله تعالى:

[فلو تأمل أبو المعالى وذويه الكتاب الذى أنكروه لوجدوا فيه ما يخصمهم ، ولكن أبو المعالى مع فرط ذكائه وحرصه على العلم وعلو قدره فى فنه كان قليل المعرفة بالآثار النبوية ، ولعله لم يطالع الموطأ بحال حتى يعلم ما فيه ، فإنه لم يكن له بالصحيحين البخارى ومسلم وسنن أبى داود والنسائى والترمذى ، وأمثال هذه السنن علم أصلا

---

(١) الفتاوى الكبرى(٥ / ٢٩٩).

فكيف بالموطأ ونحوه وكان مع حرصه على الاحتجاج فى مسائل الخلاف فى الفقه إنما عمدته سنن أبى الحسن الدارقطنى ، وأبو الحسن مع إتمام إمامته فى الحديث ، فإنه إنما صنف هذه السنن كى يذكر فيها الأحاديث المستغربة فى الفقه ويجمع طرقها ، فإنها هى التى يحتاج فيها إلى مثله ، فأما الأحاديث المشهورة فى الصحيحين وغيرهما ، فكان يستغنى عنها فى ذلك ؛ فلهذا كان مجرد الاكتفاء بكتابه فى هذا الباب يورث جهلا عظيما بأصول الإسلام ، واعتبر ذلك بأن كتاب أبى المعالى الذى هو نخبة عمره [نهاية المطلب فى دراية المذهب] ليس فيه حديث واحد معزو إلى صحيح البخارى ، إلا حديث واحد فى البسملة ، وليس ذلك الحديث فى البخارى كما ذكره ، ولقلة علمه وعلم أمثاله بأصول الإسلام اتفق أصحاب الشافعى على أنه ليس لهم وجه فى مذهب الشافعى ، فإذا لم يسوغ أصحابه أن يعتد بخلافهم فى مسألة من فروع الفقه كيف يكون حالهم فى غير هذا ، وإذا اتفق أصحابه على أنه لا يجوز أن يتخذ إماما فى مسألة واحدة من مسائل الفروع ، فكيف يتخذ إماما فى أصول الدين مع العلم بأنه إنما نال قدره عند الخاصة والعامة بتبحره فى مذهب الشافعى - رضى الله عنه- لأن مذهب الشافعى مؤسس على الكتاب والسنة ، وهذا الذى ارتفع به عند المسلمين غايته فيه أنه يوجد منه نقل جمعه أو بحث تفطن له ، فلا يجعل إماما فيه كالأئمة الذين هم وجوه ، فكيف بالكلام

الذى نص الشافعى وسائر الأئمة على أنه ليس بعد الشرك بالله ذنب أعظم منه ، وقد بينا أن ما جعله أصل دينه فى[الإرشاد] و[الشامل] وغيرهما هو بعينه من الكلام الذى نصت عليه الأئمة ؛ ولهذا روى عنه ابن طاهر أنه قال وقت الموت: [لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت فى الذى نهونى عنه ، والآن إن لم يدركنى ربى برحمته ، فالويل لابن الجوينى ، وها أنا أموت على عقيدة أمى أو عقائد عجائز نيسابور].

قال أبو عبد الله الحسن بن العباس الرسعنى: حكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن على الطبرى الفقيه قال: دخلنا على الإمام أبى المعالى الجوينى نعوده فى مرضه الذى مات فيه بنيسابور فأقعد فقال لنا: [اشهدوا على أنى رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح - عليهم السلام- وأنى أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور].

وعامة المتأخرين من أهل الكلام سلكوا خلفه من تلامذته وتلامذة تلامذته ، وتلامذة تلامذة تلامذته ، ومن بعدهم ، ولقلة علمه بالكتاب والسنة ، وكلام سلف الأمة يظن أن أكثر الحوادث ليست فى الكتاب والسنة والإجماع ما يدل عليها ، وإنما يعلم حكمها بالقياس كما يذكر ذلك فى كتبه ، ومن كان له علم بالنصوص ودلالتها على

الأحكام ، علم أن قول أبى محمد بن حزم وأمثاله: إن النصوص تستوعب جميع الحوادث أقرب إلى الصواب من هذا القول ، وإن كان فى طريقة هؤلاء[1] من الإعراض عن بعض الأدلة الشرعية ما قد يسمى قياسا جليا ، وقد يجعل من دلالة مثل فحوى الخطاب والقياس فى معنى الأصل وغير ذلك ، ومثل الجمود على الاستصحاب الضعيف ، ومثل الإعراض عن متابعة أئمة من الصحابة ومن بعدهم ما هو معيب عليهم ، وكذلك القدح فى أعراض الأئمة لكن الغرض أن قول هؤلاء فى استيعاب النصوص للحوادث وأن الله ورسوله قد بين للناس دينهم هو أقرب إلى العلم والإيمان الذى هو الحق ممن يقول[2]: إن الله لم يبين للناس حكم أكثر ما يحدث لهم من الأعمال ، بل وكلهم فيها إلى الظنون المتقابلة والآراء المتعارضة ولا ريب أن سبب هذا كله ضعف العلم بالآثار النبوية والآثار السلفية وإلا فلو كان لأبى المعالى وأمثاله بذلك علم راسخ وكانوا قد عضوا عليه بضرس قاطع لكانوا ملحقين بأئمة المسلمين لما كان فيهم من الاستعداد لأسباب الاجتهاد ، ولكن اتبع أهل الكلام المحدث والرأى الضعيف للظن وما تهوى الأنفس الذى ينقص صاحبه إلى حيث جعله الله مستحقا لذلك ، وإن كان له من الاجتهاد فى تلك الطريقة

---

(١) أبي محمد بن حزم وأمثاله.

(٢) الجويني وأمثاله.

ما ليس لغيره ، فليس الفضل بكثرة الاجتهاد ولكن بالهدى والسداد كما جاء فى الأثر الجواب (ما ازداد مبتدع اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا).

وقد قال النبى ﷺ فى الخوارج (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية).

ويوجد لأهل البدع من أهل القبلة - لكثير من الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم - من الاجتهاد ما لا يوجد لأهل السنة فى العلم والعمل ، وكذلك لكثير من أهل الكتاب والمشركين ، لكن إنما يراد الحسن من ذلك.

كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [هود:٧] ، قال: أخلصه وأصوبه ، فقيل له: يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة.

وأما الشافعى - رضى الله عنه- فقد روى الأحاديث التى تتعلق بغرض كتابه مثل حديث النزول ، وحديث معاوية بن الحكم السلمى الذى فيه قول رسول الله ﷺ للجارية:أين الله؟ قالت: فى السماء ،

قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ، قال اعتقها ، فإنها مؤمنة) ، وقد رواه مسلم فى صحيحه ، بل روى[١] فى كتابه الكبير الذى اختصر منه مسنده من الحديث ما هو من أبلغ أحاديث الصفات ، ورواه بإسناد فيه ضعف فقال: أخبرنا إبراهيم بن محمد قال: حدثنى موسى بن عبيدة حدثنى أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة ، عن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: (أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: ما هذه؟ قال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد! قال النبى ﷺ: يا جبريل ، وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ فى الفردوس واديا أفيح فيه كثب مسك ، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله - عز وجل- ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور ، عليها مقاعد للنبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون ويجلس من ورائهم على تلك الكثب ، فيقول الله - عز وجل- لهم: أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فاسألونى أعطكم! فيقولون: ربنا نسألك رضوانك! فيقول: قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من خير وهو اليوم الذى استوى ربكم

(١) أى الشافعي - رحمه الله تعالى.

على العرش فيه ، وفيه خلق آدم ، وفيه تقوم الساعة).

وأما ما رواه الثورى والليث بن سعد وابن جريج والأوزاعى وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة ونحوهم من هذه الأحاديث فلا يحصيه إلا الله ، بل هؤلاء مدار هذه الأحاديث من جهتهم أخذت وحماد بن سلمة الذى قال: إن مالكا احتذى موطأه على كتابه هو قد جمع أحاديث الصفات لما أظهرت الجهمية إنكارها حتى أن حديث خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن قد رواه هؤلاء الأئمة رواه الليث بن سعد عن ابن عجلان ورواه سفيان بن عيينة عن أبى الزناد.

ومن طريقه رواه مسلم فى صحيحه ورواه الثورى عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عطاء ، عن النبى ﷺ مرسلا ، ولفظه (خلق آدم على صورة الرحمن) ، مع أن الأعمش رواه مسندا.

فإذا كان الأئمة يروون مثل هذا الحديث وأمثاله مرسلا فكيف يقال: إنهم كانوا يمتنعون عن روايتها والحديث هو فى الصحيحين من حديث معمر عن همام عن أبى هريرة ، وفى صحيح مسلم من حديث قتادة عن أبى أيوب عن أبى هريرة وقد روى عن ابن القاسم قال: سألت مالكا عن من يحدث الحديث (إن الله خلق آدم على

صورته) ، والحديث (إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة) ، وأنه (يدخل فى النار يده حتى يخرج من أراده) ، فأنكر ذلك إنكارا شديدا ونهى أن يتحدث به أحد!

قلت: هذان الحديثان كان الليث بن سعد يحدث بهما ، فالأول حديث الصورة حدث به عن ابن عجلان ، والثانى هو فى حديث أبى سعيد الخدرى الطويل ، وهذا الحديث قد أخرجاه فى الصحيحين من حديث الليث ، والأول قد أخرجاه فى الصحيحين من حديث غيره.

وابن القاسم إنما سأل مالكا لأجل تحديث الليث بذلك فيقال: إما أن يكون ما قاله مالك مخالفا لما فعله الليث ونحوه أو ليس بمخالف ، بل يكره أن يتحدث بذلك أن يفتنه ذلك ولا يحمله عقله ، كما قال ابن مسعود: [ما من رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم].

وقد كان مالك يترك رواية أحاديث كثيرة لكونه لا يأخذ بها ولم يتركها غيره فله فى ذلك مذهب ، فغاية ما يعتذر لمالك ، أما أن يقال: إنه كره التحدث بذلك مطلقا ، فهذا مردود على من قاله ، فقد حدث بهذه الأحاديث من هم أجل من مالك عند نفسه وعند المسلمين كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وابن عباس وعطاء بن أبي رباح ، وقد حدث

بها نظراؤه كسفيان الثورى والليث بن سعد وابن عيينة والثورى أعلم من مالك بالحديث وأحفظ له ، وهو أقل غلطا فيه من مالك وإن كان مالك ينتقى من يحدث عنه ، وأما الليث فقد قال فيه الشافعى: كان أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه ضيعوه .

ففى الجملة: هذا كلام فى حديث مخصوص ، أما أن يقال: إن الأئمة أعرضوا عن هذه الأحاديث مطلقا ، فهذا بهتان عظيم.

العاشر: الجواب أن هؤلاء الذين سماهم وسائر أئمة الإسلام كانوا كلهم مثبتين لموجب الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات مطبقين على ذم الكلام الذى بنى عليه أبو المعالى أصول دينه ، وزعم أنه أول ما أوجبه الله على العبد بعد البلوغ وهو ما استدل به على حدوث الأجسام بقيام الأعراض بها حتى أن شيخه أبا الحسن الأشعرى ذكر اتفاق الأنبياء وأتباعهم وسلف هذه الأمة على تحريم هذه الطريقة التى ذكر أبو المعالى أنها أصل الإيمان ، وبها وبنحوها عارض هذه الأحاديث.

وقد كتبنا كلام الأشعرى وغيره فى ذلك فى كتاب [تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية] لما استدل الرازى بالحركة على حدوث ما قامت به فى إثبات حجته الدالة على نفى التحيز عندهم ، ولكن

علمه بحالهم كعلمه بمذهبهم فى آيات الصفات وأحاديث الصفات ، حيث اعتقد أن مذهبهم إمرار حروفها مع نفى دلالتها على ما دلت عليه من الصفات! فهذا الضلال فى معرفة رأيهم كذلك الضلال فى معرفة روايتهم وقولهم فى شيئين فى الكلام الذى كان ينتحله وفى النصوص الواردة عن الرسول ، فقد حرفوا مذهب الأئمة فى هذه الأصول الثلاثة ، كما حرفوا نصوص الكتاب والسنة.

الحادى عشر: الجواب أن الذى أوجب لهم جمع هذه الأحاديث وتبويبها ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها وتعطيل صفات الرب المستلزمة لتعطيل ذاته وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان وما صنفوه فى ذلك من الكتب وبوبوه أبوابا مبتدعة يردون بها ما أنزله الله على رسوله ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول ، وقد أوجب الله – تعالى- تبليغ ما بعث به رسله وأمر ببيان العلم وذلك يكون بالمخاطبة تارة وبالمكاتبة أخرى.

فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد فى كتب ، فإن لم يكتب العلم الذى بعث الله به رسوله فى كتب لم يظهر إلحاد ذلك ولم يحصل تمام البيان والتبليغ ولم يعلم كثير من الناس ما بعث الله به رسوله من العلم والإيمان المخالف لأقوال الملحدين المحرفين وكان جمع ما ذكره النبى ﷺ وأخبر به عن ربه أهم من جمع غيره.

الثانى عشر: الجواب أن أبا المعالى وأمثاله يضعون كتب الكلام الذى تلقوا أصوله عن المعتزلة والمتفلسفة ويبوبون أبوابا ما أنزل الله بها من سلطان ويتكلمون فيها بما يخالف الشرع والعقل ، فكيف ينكرون على من يصنف ويؤلف ما قاله رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان والأصول التى يقررها هى أصول جهم بن صفوان فى الصفات والقدر والإرجاء ، وقد ظهر ذلك فى أتباعه ، كالمدعى المغربى فى مرشدته وغيره فإن هؤلاء فى القدر يقولون بقول جهم ، أى يميلون إلى الجبر وفي الإرجاء بقول جهم أيضا بأن الإيمان هو المعرفة ، وأما فى الصفات فهم يخالفون جهما والمعتزلة.

فهم يثبتون الصفات فى الجملة لكن جهم والمعتزلة حقيقة قولهم نفى الذات والصفات وإن لم يقصدوا ذلك ولم يعتقدوه وهؤلاء حقيقة قولهم إثبات صفات بلا ذات وإن لم يعتقدوا ذلك ويقصدوه ؛ ولهذا هم متناقضون لكن هم خير من المعتزلة.

ولهذا إذا حقق قولهم لأهل الفطر السليمة بقول أحدهم فيكون الله شبحا ، وشبحه خيال الجسم مثل ما يكون من ظله على الأرض وذلك هو عرض فيعلمون أن من وصف الرب بهذا الأسلوب مثل قولهم: لا داخل العالم ولا خارجه ونحوه فلا يكون الله على قوله شيئا

قائما بنفسه موجودا ، بل يكون كالخيال الذى يشبحه الذهن من غير أن يكون ذلك الخيال قائما بنفسه! ولا ريب أن هذا حقيقة قول هؤلاء الذين يزعمون أنهم ينزهون الرب بنفى الجسم وما يتبع ذلك.

ثم إنهم مع هذا النفى إذا نفوا الجسم وملازيمه وقالوا:لا داخل العالم ولا خارجه فيعلم أهل العقول أنهم لم يثبتوا شيئا قائما بنفسه موجودا ، بل يقال هذا الذى أثبتموه شبح أى خيال كالخيال الذى هو ظل الأشخاص وكالخيال الذى فى المرآة والماء.

ثم من المعلوم أن هذا الخيال والمثال والشبح يستلزم حقيقة موجودة قائمة بالنفس ، فإن خيال الشخص يستلزم وجوده وكذلك قول هؤلاء ، فإنهم يقرون بوجود مدبر خالق للعالم موصوف بأنه عليم قدير ويصفونه من السلب بما يوجب أن يكون خيالا فيكون قولهم مستلزما لوجوده ولعدمه معا ، فإذا تكلموا بالسلب لم يبق إلا الخيال ويصفون ذلك الخيال بالثبوت فيكون الخيال يستلزم ثبوت الموجود القائم بنفسه.

الثالث عشر: الجواب أن معرفة أبى المعالى وذويه بحال هؤلاء الأئمة الذين اتفقت الأمة على إمامتهم لا يكون أعظم عن معرفتهم بالصحابة والتابعين بنصوص رسول الله ﷺ ، وقد رأيت أبا المعالى فى

ضمن كلامه يذكر ما ظاهره الاعتذار عن الصحابة وباطنه جهل بحالهم مستلزم إذا أطرد الزندقة والنفاق فإنه أخذ يعتذر عن كون الصحابة لم يمهدوا أصول الدين ولم يقرروا قواعده فقال: لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والقتال عن ذلك هذا مما فى كلامه وهذا إنما قالوه ؛ لأن هذه الأصول والقواعد التى يزعمون أنها أصول الدين قد علموا أن الصحابة لم يقولوها وهم يظنون أنها أصول صحيحة ، وأن الدين لا يتم إلا بها ، وللصحابة - رضى الله عنهم- أيضا من العظمة فى القلوب ما لم يمكنهم دفعه حتى يصيروا بمنزلة الرافضة القادحين فى الصحابة ، ولكن أخذوا من الرفض شعبة كما أخذوا من التجهم شعبة ، وذلك دون ما أخذته المعتزلة من الرفض والتجهم حين غلب على الرافضة التجهم وانتقلت عن التجسيم إلى التعطيل والتجهم ، إذ كان هؤلاء نسجوا على منوال المعتزلة لكن كانوا أصلح منهم وأقرب إلى السنة وأهل الإثبات فى أصول الكلام ؛ ولهذا كان المغاربة الذين اتبعوا ابن التومرت المتبع لأبى المعالى أمثل وأقرب إلى الإسلام من المغاربة الذين اتبعوا القرامطة وغلوا فى الرفض والتجهم حتى انسلخوا من الإسلام ، فظنوا أن هذه الأصول التى وضعوها هى أصول الدين الذى لا يتم الدين إلا بها وجعلوا.....].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا:[١]

[قلت: لا ريب أن الأشعرية إنما تعلموا الكتاب والسنة من أتباع الإمام أحمد ونحوه بالبصرة وبغداد.

فإن الأشعرى أخذ السنة بالبصرة عن زكريا بن يحيى الساجى ، وهو من علماء أهل الحديث المتبعين لأحمد ونحوه ، ثم لما قدم بغداد أخذ ممن كان بها ؛ ولهذا يوجد أكثر ألفاظه التى يذكرها عن أهل السنة والحديث ، إما ألفاظ زكريا عن أحمد فى رسائله الجامعة فى السنة ، وإلا فالأشعرى لم يكن له خبرة بمذهب أهل السنة وأصحاب الحديث وإنما يعرف أقوالهم من حيث الجملة لا يعرف تفاصيل أقوالهم وأقوال أئمتهم ، وقد تصرف فيما نقله عنهم باجتهاده فى مواضع يعرفها البصير.

وأما خبرته بمقالات أهل الكلام ، فكانت خبرة تامة على سبيل التفصيل ؛ ولهذا لما صنف كتابه فى مقالات الإسلاميين ذكر مقالات أهل الكلام واختلافهم على التفصيل ، وأما أهل الحديث والسنة ، فلم يذكر عنهم إلا جملة مقالات ، مع أن لهم في تفاصيل تلك من الأقوال أكثر مما لأهل الكلام وذكر الخلاف بين أهل الكلام فى الدقيق فلم يذكر النزاع بين أهل الحديث فى الدقيق وبينهم منازعات فى أمور

---

(١) الفتاوى الكبرى ، ٥/ ٣٤٢.

دقيقة لطيفة كمسألة اللفظ ونقصان الإيمان وتفضيل عثمان ، وبعض أحاديث الصفات ونفى لفظ الجبر ، وغير ذلك من دقيق القول ولطيفه.

وليس المقصود هنا إطلاق مدح شخص أو طائفة ولا إطلاق ذم ذلك ، فإن الصواب الذى عليه أهل السنة والجماعة أنه قد يجتمع فى الشخص الواحد والطائفة الواحدة ما يحمد به من الحسنات وما يذم به من السيئات ، وما لا يحمد به ولا يذم من المباحث والمعفو عنه من الخطأ والنسيان بحيث يستحق الثواب على حسناته ، ويستحق العقاب على سيئاته ، بحيث لا يكون محمودا ولا مذموما على المباحات والمعفوات.

وهذا مذهب أهل السنة فى فساق أهل القبلة ونحوهم.

وإنما يخالف هذا الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ونحوهم الذين يقولون: من استحق المدح لم يستحق الثواب ، حتى يقولون إن من دخل النار لا يخرج منها بل يخلد فيها، وينكرون شفاعة محمد ﷺ فى أهل الكبائر قبل الدخول وبعده ، وينكرون خروج أحد من النار ، وقد تواترت السنن عن النبي ﷺ بخروج من يخرج من النار حتى يقول الله أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان وبشفاعة النبى ﷺ لأهل الكبائر من أمته.

ولهذا يكثر فى الأمة من أئمة الأمراء وغيرهم من يجتمع فيه الأمران ، فبعض الناس يقتصر على ذكر محاسنه ومدحه غلوا وهوى ،

وبعضهم يقتصر على ذكر مساويه غلوا وهوى ودين الله بين الغالى فيه والجافى عنه وخيار الأمور أوسطها.

ولا ريب أن للأشعرى فى الرد على أهل البدع كلاما حسنا هو من الكلام المقبول الذى يحمد قائله إذا أخلص فيه النية.

وله أيضا كلام خالف به بعض السنة هو من الكلام المردود الذي يذم به قائله إذا أصر عليه بعد قيام الحجة ، وإن كان الكلام الحسن لم يخلص فيه النية والكلام السيئ كان صاحبه مجتهدا مخطئا مغفورا له خطأه لم يكن فى واحد منهما مدح ولا ذم ، بل يحمد نفس الكلام المقبول الموافق للسنة ويذم الكلام المخالف للسنة.

وإنما المقصود أن الأئمة المرجوع إليهم فى الدين مخالفون للأشعرى فى مسألة الكلام وإن كانوا مع ذلك معظمين له فى أمور أخرى وناهين عن لعنه وتكفيره ومادحين له بماله من المحاسن.

وبزيادة أخرى ، فإن هذه المسألة هى مسألة الكلام من الأمر والنهى والخبر هل له صيغة أو ليس له صيغة ، بل ذلك معنى قائم بالنفس ، فإذا كانوا مخالفين له فى ذلك وقائلين بأن الكلام له الصيغ التى هى الحروف المنظومة المؤلفة قائلين خلافا للأشعرى].

قال الإمام: قال الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى- فى كتاب الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية:

فصل

الطريق السادس عشر[١] ، الحكم بشهادة الفساق ، وذلك فى صور:

إحداها: الفاسق باعتقاده إذا كان متحفظا فى دينه ، فإن شهادته مقبولة وإن حكمنا بفسقه كأهل البدع والأهواء الذين لا نكفرهم ، كالرافضة والخوارج والمعتزلة ونحوهم هذا منصوص الأئمة ، قال الشافعى: أقبل شهادة أهل الأهواء بعضهم على بعض إلا الخطابية ، فإنهم يتدينون بالشهادة لموافقيهم على مخالفيهم ، ولا ريب أن شهادة من يكفر بالذنب ويعد الكذب ذنبا[٢]أولى بالقبول ممن ليس كذلك ، ولم يزل السلف والخلف على قبول شهادة هؤلاء ورواياتهم ، وإنما منع الأئمة كالإمام أحمد بن حنبل وأمثاله قبول رواية الداعى المعلن ببدعته وشهادته والصلاة خلفه هجرا له وزجرا لينكف ضرر بدعته عن المسلمين ، ففى قبول شهادته وروايته والصلاة خلفه واستقضائه وتنفيذ أحكامه رضى ببدعته وإقرار له عليها وتعريض لقبولها منه ، قال حرب: قال أحمد: لا تجوز شهادة القدرية والرافضة وكل من دعا إلى بدعة ويخاصم عليها ، وقال الميمونى: قال أبو عبد الله فى الرافضة: لعنهم الله لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم ، وقال إسحاق

---

(١) من طرق الحكم والقضاء.

(٢) وهم الخوارج.

ابن منصور: قلت لأحمد كان ابن أبى ليلى يجيز شهادة كل صاحب بدعة إذا كان فيهم عدلا لا يستحل شهادة الزور؟ قال أحمد: ما تعجبنى شهادة الجهمية والرافضة والقدرية والمعلنة ، وقال الميمونى: سمعت أبا عبد الله يقول: من أخاف عليه الكفر مثل الروافض والجهمية لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم ، وقال فى رواية يعقوب بن بختان إذا كان القاضى جهميا لا نشهد عنده ، وقال أحمد بن الحسن الترمذى قدمت على أبى عبد الله فقال: ما حال قاضيكم لقد مد له فى عمره؟ فقلت له: إن للناس عندى شهادات إذا صرت إلى البلاد لا آمن إذ أشهد عنده أن يفضحنى؟(١) قال: لا تشهد عنده! قلت: يسألنى من له عندى شهادة؟ قال لك: ألا تشهد عنده ، قلت: من كفر بمذهبه كمن ينكر حدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الرب - تعالى- بجميع الكائنات وأنه فاعل بمشيئته وإرادته؟ لا تقبل شهادته ؛ لأنه على غير الإسلام.

فأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ، ولكنهم مخالفون فى بعض الأصول ، كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلد الذى لا بصيرة له ، فهذا لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة

---

(١) أى بالسب والشتم ؛ لأنه من أهل السنة والاستقامة ، والقاضي من أهل البدعة.

ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفوا غفورا.

القسم الثانى: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك ، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته ، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى ردت شهادته ، وإن غلب ما فيه من السنة والهدى قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب ويتبين له الهدى ويتركه تقليدا وتعصبا ، أو بغضا أو معاداة لأصحابه ، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقا وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل ، فإن كان معلنا داعية ردت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم ، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم ففى رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة ، وقد نص مالك - رحمه الله- على أن شهادة أهل البدع ، كالقدرية والرافضة ونحوهم لا تقبل وإن صلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا.

قال اللخمى: وذلك لفسقهم ، قال: ولو كان ذلك عن تأويل غلطوا فيه.

فإذا كان هذا ردهم لشهادة القدرية وغلطهم إنما هو من تأويل

القرآن كالخوارج ، فما الظن بالجهمية الذين أخرجهم كثير من السلف من الثنتين والسبعين فرقة ، وعلى هذا ، فإذا كان الناس فساقا كلهم إلا القليل النادر قبلت شهادة بعضهم على بعض ، ويحكم بشهادة الأمثل من الفساق فالأمثل ، هذا هو الصواب الذى عليه العمل وإن أنكره كثير من الفقهاء بألسنتهم ، كما أن العمل على صحة ولاية الفاسق ونفوذ أحكامه وإن أنكروه بألسنتهم ، وكذلك العمل على صحة كون الفاسق وليا فى النكاح ووصيا فى المال ، والعجب ممن يسلبه ذلك ويرد الولاية إلى فاسق مثله أو أفسق منه ، فإن العدل الذى تنتقل إليه الولاية قد تعذر وجوده ، وامتاز الفاسق القريب بشفقة القرابة والوصى باختيار الموصى له وإيثاره على غيره ، ففاسق عينه الموصى أو امتاز بالقرابة أولى من فاسق ليس كذلك على أنه إذا غلب على الظن صدق الفاسق قبلت شهادته وحكم بها ، والله - سبحانه- لم يأمر برد خبر الفاسق ، فلا يجوز رده مطلقا ، بل يتثبت فيه حتى يتبين هل هو صادق أو كاذب ، فإن كان صادقا قبل قوله وعمل به وفسقه عليه ، وإن كان كاذبا رد خبره ولم يلتفت إليه.

ولرد خبر الفاسق وشهادته مأخذان:

أحدهما: عدم الوثوق به إذ تحمله قلة مبالاته بدينه ونقصان وقار الله فى قلبه على تعمد الكذب.

الثانى: هجره على إعلانه بفسقه ومجاهرته به ، فقبول شهادته إبطال لهذا الغرض المطلوب شرعا.

فإذا علم صدق لهجة الفاسق ، وأنه من أصدق الناس وإن كان فسقه بغير الكذب ، فلا وجه لرد شهادته وقد استأجر النبى ﷺ هاديا يدله على طريق المدينة وهو مشرك على دين قومه ، ولكن لما وثق بقوله أمنه ودفع إليه راحلته وقبل دلالته.

وقد قال **أصبغ بن الفرج**: إذا شهد الفاسق عند الحاكم وجب عليه التوقف فى القضية ، وقد يحتج له بقوله تعالى: ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات:٦] ، وحرف المسألة أن مدار قبول الشهادة وردها على غلبة ظن الصدق وعدمه، والصواب المقطوع به أن العدالة تتبعض فيكون الرجل عدلا فى شىء فاسقا فى شىء ، فإذا تبين للحاكم أنه عدل فيما شهد به قبل شهادته ولم يضره فسقه فى غيره ، ومن عرف شروط العدالة وعرف ما عليه الناس تبين له الصواب فى هذه المسألة ، والله أعلم.

****

الخاتمة

وختاما ، أحمد الله - سبحانه وتعالى- على ما أنعم به علينا من التوفيق لدين الإسلام ، ثم لمنهج أهل السنة فيما مر من مسائل ونسأله أن يرينا الحق حقا ، وأن يرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه وأن لا يجعله ملتبسا علينا فنضل.

اللهم رب جبريل وميكائيل ، فاطر السماوات والأرض اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

أبوعبدالله

د.عبدالمحسن بن عبدالله بن إبراهيم الزكري

المحتويات